عقلاء المجانين

للعلامة أبى القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى
المتوفى سنة ٤٠٦ هجرية

الناشر
شركة نوابغ الفكر

شركة نوابغ الفكر ، القاهرة

البريد الالكترونى :

Nawabgh_elfakr@hotmail.com

هاتف: ٢٥٩٣٦٤٠٢

فاكس: ٢٧٨٦٥٥٥٣

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

عقلاء المجانين

تأليف : ابى القاسم الحسن بن محمد بن حبيب

ط-١ القاهرة : شركة نوابغ الفكر ٢٠١٦

عدد الصفحات :

١-الادب العربى -مجموعات

٢-الجنون فى الادب العربى

ا-العنوان

رقم الايداع : ٢٠١٦/١٥٧٨

الترقيم الدولي:٩٧٨-٩٧٧-٦٤١٥-٤٧-٨

مقدمة

أحسن كلمة نقدمها بين يدى هذا الكتاب البذى ألبسناه حلة الطبع وأخرجناه للناس. ما كتبه فى ملحة المقتبس[1] منذ عشرين عامًا الأستاذ البحاثة رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق السيد محمد كرد على، قال - حفظه الله وأبقاه - تحت عنوان:

"عقلاء المجانين"

مهما اختلفت النقليات على العقل البشرى لا تزال مادة خواطره واحدة. على تباين الأعصار والأمصار، فما يجول فى أفكار أبناء هذا العصر الجديد من الموضوعات، قد جال فى خيال أهل القرون الخالية، وما كل ما اخترع اليوم واستنبط كشف سره فى جيل أو قرن، بل إن التصورات تكاد تكون واحدة وإن اختلفت ضعفًا أو قوة، وكل ما يبهرنا من أسباب الحضارة هو عمل قرون كثيرة.

من كان يظن أن بعض سلفنا خطر له أن يطرف أبناء عصره بكتاب فى نكاب المجانين، وحكم البله والمتباهلين، هذا المصنف هو للعلامة الثبت النافذ الحجة الرحلة أبى القاسم الحسن بن حبيب المفسر النيسابورى بدأه بمقدمة فى الجنون وما ورد فيه فى الكتاب العزيز وما احتالت به قريش على الرسول صلوات الله عليه من نسبته إلى الجنون، لما دعاها إلى الحق، شأن كل قبيل ينسب للجنون كل عاقل يخالف قوله وفعله ما هو فيه، وتوارثه بالتقليد الأعمى!

---

(١) راجع المجلد الثانى الصفحة ٣٦.

والكتاب يقع فى نحو مـائة صفحة منصفة القطع مكتـوب بخط جميل تغلب عليـه الصحـة والغالب أنه نقل عن نسـخة صـحيحـة ووقع فى أيدى جهابذة نقاد فقوموا منآده وأوده، أما إنشـاؤه فأنشأ المائة الثالثة والرابعة سلاسة بلا تكلف، وطبع بلا تصنع. اهـ.

***

ترجمة المؤلف

جاء فى عيون التواريخ فى حوادث سنة ٤٠٦ هـ ما خلاصته: وفيها توفى الحسن بن محمد بن حبيب أبو القاسم والواعظ المفسر. قال ياقوت: ذكره عبد الغافر فقال: إمام عصره فى معانى القراءات وعلومها. وقد صنف التفسير المشهور به. وكان أديبًا نحويًا عارفًا بالمغازى والقصص والسير توفى فى ذى القعدة من هذه السنة (٤٠٦). وصنف فى القراءات والأدب. وعقلاء المجانين. وكان يدرس لأهل التحقيق. ويعظ العوام وانتشر عنه بنيسابور العلم الكثير، وسارت تصانيفه فى الآفاق. حدث عن الأصم وعبد الله الصفار. وكان الثعالبى من خواص تلاميذه وكان كرامى المذهب، ثم تحول شافعيًا. وله شعر منه قوله:

بمن يستغيث العبد إلا بربه ... ومن للفتى عند الشدائد والكرب

ومن مالك الدنيا ومالك أهلها ... ومن كاشف البلوى على البعد والقرب

ومن يدفع الغماء وقت نزولها ... وهل ذاك إلا من فعالك ياربى!

وقوله:

ومصائب الأيام أن غادیتها ... بالصبر رد عليك وهى مواهب

لم يدج ليل العسر قط بغمة ... إلا بدت لليسر فيه كواكب

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله

الحمد لله الذي لا بخيبٍ لديه أمل الآملين، ولا يضيع عنده عمل العاملين، فهو جبار السموات والأرضين، والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين.

أما بعد: فإن الله تعالى خلق الدنيا دار زوال، ومحل قلق وانتقال، وجعل أهلها فيها غرضًا للفناء، ومقاساة الشدائد والبلاء، فشاب حياتهم فيها بالموت، وبقاءهم بحسرة الفوت، وجعل أوصافهم فيها متضادة، فقرن قوتهم بالضعف، وقدرتهم بالعجز، وشبابهم بالمشيب، وعزهم بالذل، وغناهم بالفقر، وصحتهم بالسقم، واستأثر انفراد الصفات لنفسه: قوة بلا ضعف، وقدرة بلا عجز، وحياة بلا موت، وعزل بلا ذل، وغنى بلا فقر، وكذلك بسائر صفاته.

ثم أقسم بها أجمع فقال تعالى: ﴿والفجر، وليال عشر، والشفع والوتر﴾. واختلف الناس فيها من ثلاثين وجهًا، وأشار أبو بكر محمد بن عمر الوراق، رحمه الله، إلى ما ذكرناه: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد النسفي بمرو، قال: حدثنا أبو عبد الله ختن أبي بكر الوراق قال: سئل أبو بكر عن قوله عز وجل "والشفع الوتر" فقال: الشفع تضاد أوصاف المخلوقين والوتر انفراد الخالق ثم ذكر نحوًا مما قلنا.

وعلى هذا المثال قرن بالعبر، وفرحهم بالترح، ولذلك قالت الحكماء:

كفاك بصحتك سقمًا، وبسلامتك داء. حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الخطيب الميدانى بزوزن، قال: حدثنا أبو قريش محمد بن خلف الحافظ، قال: حدثنا محمد بن زنبور الملكى قال حماد بن زيد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: كفى بالسلامة داء.

سمعت الفقيه أبا حامد أحمد بن محمد بن العباس البغوى بها، قال: سمعت أبا الحسن على بن إبراهيم بن عبد الله، قال: سمعت أبا داود سليمان بن معبد الشنجى يقول: أنشدنا بعض الأدباء:

كانت قنانى لا تلين لغامز ... وألانها الأصباح والأمساء

ودعوت ربى بالسلامة جاهداً ... لمعيشى فإذا السلامة داء

وأخبرنا محمد بن عيسى بن على بمرور الروذ قال: أخبرنا يوسف بن موسى قال: حدثنا بشر بن عبد الغفار الواسطى عن يحيى بن هاشم السمسار قال: قال مسهر لعطية العوفى: كيف أصبحت؟ قال: فى سلامة مشوبة بداء، وعافية داعية إلى فناء!

قال: وحدثنا أبو على الحسين بن محمد بن هارون قال: حدثنا أبو حامد المستملى: حدثنا محمد بن الحجاج: حدثنا جميل بن يزيد، عن وهب بن راشد، عن فرقد السنجى، قال: مكتوب فى التوراة: "يا ابن آدم أنت فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك".

وقيل للحسن: إن فلانًا فى النزع. فقال: ما زال فى النزع منذ خرج من بطن أمه ولكنه الآن أشد.

وهذا حميد بن ثور وهو من فحول الشعراء يقول فى بعض قصائده:

أرى جسدى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما!

وأنشدها أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله السرخسى، قال: أنشدنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن المدغولى، قال: أنشدنا أبو الحسن محمد بن حاتم المظفرى:

يحب الفتى طول طول البقاء وأنه على ثقة أن البقاء فناء

زيادته فى الجسم نقص حياته وليس على نقص الحياة نماء

إذا ما طوى يومًا طوى اليوم بعده ويطويه أن جن المساء مساء

جديدان لا يبقى الجميع عليهما ولا لهما بعد الجميع بقاء

وكما شاب صفات أهل الدنيا بأضدادها، كذلك شاب عقلهم بالجنون فلا يخلو العاقل فيها من ضرب من الجنون. ولذلك أشار النبى ﷺ إلى من أبلى شبابه فى المعصية فسماه مجنونًا، حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد ين عبد الله العنبرى، قال: حدثنا أبو إسحاق حبان البلخى قال: حدثنا محمد بن مدويه الكرابيسى الترمذى، قال: حدثنا خالد بن خداش عن صالح المرسى عن جعفر بن زيد العبدى عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: بينما رسول الله ﷺ فى أصحابه إذ مر به رجل فقال بعض القوم: هذا مجنون، فقال رسول الله ﷺ: هذا مصاب إنما المجنون المقيم على معصية الله تعالى.

والمجنون عند الناس من يسمع ويسب ويرمى ويخرق الثوب، أو من يخالفهم فى عاداتهم فيجئ بما ينكرون، ولذلك سمت الأمم الرسل مجانين لأنهم شقوا عصاهم فنابذوهم وأتوا بخلاف ما هم فيه، قال الله جل ذكره

﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر، فدعى ربه أنى مغلوب فانتصر﴾، وقال تعالى: ﴿وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه﴾ يعنى فرعون ﴿وقال ساهر مجنون﴾.

سمعت على بن عبد الله السمرقندى يقول: سمعت أبا القاسم الحكيم يقول: من عرف نفسه كان عند الناس ذليلا ومن عرف ربه كان عند الناس مجنونًا!

ولقد قال مشركو مكة فى النبى ﷺ حين تحداهم إلى الإيمان بالله: أنه مجنون وساحر وشاعر وكاهن. أخبرنا أبو على الحسين بن محمد بن هارون، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد، قال: أنبأنا يوسف بن بلال عن محمد بن مروان عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أن الوليد بن المغيرة المخزومى قال حين حضر الموسم يا معشر قريش أن محمدًا حلوالكلام، وقد أغار أمره فى البلاد وأنجد، وإنى لا آمن أن يصدقه الناس، فابعثوا رهطًا من ذوى الرأى والحجى إلى أنقاب مكة على مسيرة ليلة أو ليلتين، ليلقوا الناس، فمن يسأل عن محمد فليقل بعضهم أنه ساحر، وبعضهم أنه مجنون، وبعضهم أنه كاهن، وبعضهم أنه شاعر، إن لم تروه خبر من أن تروه فبعثوا ستة عشر رجلا فى أربعة من الطرق فى كل طريق أربعة نفر، وأقام الوليد بن المغيرة فى مكة يقول لمن يسأل أنه كاهن ومجنون، ففعلوا ذلك فتصدع الناس عن قولهم، فشق ذلك على النبى ﷺ وكان يرجو أن يلقى الناس أيام الموسم، فيعرض عليهم أمره، فمنعه هؤلاء وفرحت قريش وقالوا للنبى ﷺ: هذا دأبنا ودأبك ما عشنا، فنزل جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ فى الحجر، فمر به الوليد بن المغيرة، فقال

جبريل عليه السلام للنبى ﷺ: كيف تجد هذا؟ فقال: بئس عبد الله هو. فأهوى جبريل بيده إلى كعبه، فقال: كفيت أمره، فمر الوليد بحائط فيه نبل لبنى المصطلق - وهم حى من خزاعة - وعليه بردان يتبختر فيهما، فعاق سهم بإزاره فمنعته الخيلاء أن ينزعه منه، فنفض السهم، فأصاب أكحله فقتله، ومر به العاص بن وائل السهمى، فقال جبريل: كيف تجده؟ فقال: عبد سوء، فأهوى جبريل بيده إلى باطن قدمه، فقال: قد كفيت أمره. فركب حماراً يريد أن الطائف فصرعه الحمار على شوك فدخلت شوكة باطن قدمه فتقيحت فقتله. ومر به الحارث بن قيس بن عمرو بن ربيعة بن سهم، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ قال: عبد سوء. فأهوى جبريل عليه السلام بيده إلى رأسه، وقال: كفيت أمره. فتفسخ رأسه ومات. ومر به الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، فقال جبريل عليه السلام: كيف تجده؟ قال: عبد سوء، فأهوى بيده إلى بطنه، وقال: كفيت أمره، فعطش فجعل يشرب ولا يروى حتى مات. ومر به الأسود بن المطلب بن عبد العزى بن قصى، فقال جبريل عليه السلام: كيف تجده؟ فقال عليه الصلاة والسلام: بئس العبد هو. فضرب جبريل عليه السلام بجندل فى وجهه، وقال: كفيت أمره. فعمى ثم مات.

وأنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ آية ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين، إن كفيناك المستهزئين﴾ يعنى الذين سميناهم. فلما آذى أهل مكة رسول الله ﷺ أخبر الله عنهم فقال: ﴿ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون﴾ وقال: ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ وقال: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون أنه

لمجنون، وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ وعزاه فقال: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ وقال كذلك: ﴿ما أوتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾.

ثم ناضل ونضح عن رسول الله الله ﷺ، فأجاب عنه جميع ما قيل فيه، ولم يكلفه الإجابة عن نفسه كما كلف غيره من الأنبياء عليهم السلام. ألا ترى أن نوحًا عليه السلام لما قيل له: ﴿إنا لنراك فى ضلال مبين﴾ قال: ﴿يا قوم ليس بى ضلالة﴾ وكذلك هود عليه السلام لما قيل له: ﴿إنا لنراك فى سفاهة﴾ قال: ﴿يا قوم ليس بى سفاهة﴾ وقال فرعون لموسى عليه السلام ﴿إنى لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ فكلف موسى عليه الإجابة عن نفسه فقال: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ أى هالكًا.

وفى هذا مزية للرسول ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام. ألا ترى كيف أجاب جل ذكره عن جميع ما قيل فيه نحو قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ وقوله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى﴾ حين قالوا: أنه يقول ما تلقاه نفسه ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ وقوله تعالى: ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾ وقوله: ﴿إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾ وقوله تعالى: ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾ وإلى الجنون أشار قوم هود فى قولهم ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾.

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد قل حدثنا أحمد بن محمد بن عمير

ومحمد بن عمران بن عتبة، بدمشق، قالا: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموى، عن داود بن أبى هند عن عمرو بن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما: قال: كان رجل من ازدشنوة يسمى ضماداً وكان راقيًا فقدم مكة فسمع أهلها تسمى ﷺ، مجنونًا، فأتاه فقال: إنى رجل أرقى وأداوى فإن أحببت داويتك. قال رسول الله ﷺ الحمد لله، أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد عبده ورسوله. قال: ضماد: أعد على. فأعاده النبى ﷺ. واستعاد ثانيًا. فأعاد عليه الصلاة والسلام. فقال ضماد: والله لقد سمعت قول الكهنة والسحرة والشعراء والبلغاء فما سمعت مثل هذا الكلام فقط، هات يدك أبايعك، فبايعه على الإسلام، فقال: وعلى قومى. فقال عليه السلام: وعلى قومك. قال الراوى: فبعث رسول الله ﷺ بعد ذلك سرية فمروا على تلك البلاد، فقال لأميرهم: هل أصبتم شيئًا؟ قالوا: نعم، أداوة. قال ردوها فهؤلاء ضماد.

وأخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن، قال: قرأت على أحمد بن عمر بن الصلت النسوى، قال: حدثنا على بن حزم، قال: حدثنا أبو عبد الله الضرير، قال: حدثنا يزيد بن ذريع عن داود بن أبى هند، أخبرنا أبو أحمد بن إبراهيم الصريمى المروزى، قدم علينا حاجًا، قال: حدثنا عبدان بن محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال عن عبد الله بن المبارك عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس، قال: قدم أبو العراف اليمانى، وكان من أشراف اليمن، فرأى رسول الله ﷺ فى حلة حمراء وهو يقول

للناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وإذا خلفه شيخ يقول: إياك وإياه فإنه مجنون كذاب، فسأل أبو العراف عن ذلك الشيخ فقيل عمه أبو لهب، فأتاه فقال: ما تقول فى ابن أخيك؟ قال: لم نزل نداويه من الجنون. فقال له: تبا لك، إن كلام المجانين متفاوت غير مستقيم، وما يشبه ابن أخيك المجانين بوجه من الوجوه. فقال له أبو لهب: فما هذا الذى يقول؟ قال وحى ورسالة وحق وصدق أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه عبده ورسوله. ثم أتى النبى ﷺ ما أظهر دعوته واستفحل أمره فى ثمانين فارسًا من قومه مسلمين.

والمجنون عند أهل الحقائق من ركن إلى الدنيا وعمل لها وطاب عيشًا. بذلك نطقت الأخبار. حدثنى أبى رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن شوار حدثنا محمد بن رافع حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه قال: خلق ابن آدم أحمق ولولا حمقه ما هنأه العيش. وسمعت أبا زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبرى يقول: سمعت محمد بن المسيب الأرغيانى يقول: سمعت عبد الله بن الحسن الأنطاكى يقول: سمعت يوسف بن أسباط يقول: سئل سفيان الثورى: من المجنون؟ فقال: من لم يميز غيه من رشده. سمعت أبا على محمد بن عمر الربوى يقول: سمعت على بن الحسين بن أبى عيسى الهلالى يقول: سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: دعاك الله إلى دار السلام، وقد آثرت فى دنياك المقام، وحذرك عدوك الشيطان، وأنت مالفه طول الزمان، وأمرك بخلاف هواك، وأنت معانيه صباحك ومساك، فهل الحمق إلا ما أنت فيه؟!

سمعت أبا بكر محمد بن محمد بن أحيد القطان البلخى يقول: سمعت أبا شهاب معمر بن العوفى يقول: سمعت عبد الصمد بن الفضل يقول: سمعت خلف بن أيوب، وسئل عن الأحمق، قال: من عمل لدنياه، ووافق هواه، وآثر على ربه سواه.

وقيل لآخر: من المجنون؟ قال: من لم يبال ما نقص من دينه بعد أن سمت له دنياه. وقيل لآخر: من المجنون؟ قال: من لم يأمن على روحه ساعة وهو يسعى فى عمارة دنياه. وسئل آخر: من الأخرق؟ فقال: من خرب آخرته بدنيا غيره.

أنشدنا أبو جعف محمد بن على الطيان القمى بمرو الروذ قال: أنشدنا محمد بن سعيد بن سهيل الطباخى بالبصرة:

خلقنا لأمر وإن لم نكن به مؤمنين فإنا لنوكى
وإن نحن كنا به مؤمنين ولسنا نخاف فإنا لهلكى

وأنشدنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا بن دينار الهلالى قال: أنشدنا عبد الله بن محمد بن عائشة:

ومن كانت الدنيا هواه وحلمه فذلك مجنون وإن قيل عاقل

قال آخر: المجنون من التمس رضى الناس بسخط الله عز وجل.

أنشدنى أبو الحسن محمد بن محمد بن مسعود بنسا قال: أنشدنا نفطويه، عن الخليل بن أحمد:

إنى بليت بمعشر نوكى أخفهم ثقيل
نَفَرٌ إذا جالستهم نقصت بقربهم العقول

فـــهـم كـــثـــيـــر بى واعـ ـــلـم أنـنـى بـهـم قـلـيـل!

ومرّ صلَة بن اشيم بقوم قد اجتمعوا على رجل مقيد، فقال: من هذا؟ قالوا: مجنون، فقال لا تقولوا مثل هذا إنما المجنون مثلى ومثلكم يعمر الدنيا ويخرب الآخرة.

أنشدنا أبو نصر أحمد بن محمد بن ملحان البصرى، قال: أنشدنا بشر بن موسى الأسدى:

إلى كم تخـــدم الدنيـــا وقـــد جـــزت الثـمـــانينا

تبث العلم فى قـــــوم يـروحـــــون ويغـــــدونا

فـــــلا هم بك يعنون ولا هـم عـنـك يـغـنـونـا

لئن لم تك مـــــجنونا لقـــد فـــقت المجـــانينا

***

قال الشيخ أبو القاسم الحسن بن حبيب النيسابورى المفسر رحمة الله عليه: سألنى بعض أصحابى، عوداً على مبدأ، أن أصنف كتابا فى «عقلاء المجانين» وأوصافهم وأخبارهم، وكنت أتغامس[1] عنه إلى أن تمادى به السؤال، فلم أجد بدًا من إسعافه بطلبته، وإجابته إلى بغيته، تحريا لرضاه، وتوخيا لواه، وكنت فى حداثة سنى سمعت كتبا فى هذا الباب مثل كتاب الحافظ وكتاب ابن أبى الدنيا وأحمد بن لقمان وأبى على سهل بن على البغدادى رحمهم الله فوقع كل كتاب منها فى جزء أو ما يقارب جزءًا، تتبعتها وتيقنتها، وضممت إليها قرائها، وعزوتها إلى أصحابها، وألفت هذا الكتاب

(١) كذا فى الأصل، ولعل الصواب «أتقاعس».

على غيـر سمت تلك الكتب، وهو كـتاب يكفى الناظر فـيه التـرداد وتصفح الكتب، وأرجو أنى لم أسبق مثله. والله الموفق والمعين.

* * *

أصل الجنون

- فى اللغة -

الجنون فى اللغة الاستتار. تقول العرب: جن الشىء يجن جنونًا - إذا استتر - وأجنه غيره أجنانًا - إذا ستره - قال لبيد:

حتى إذا ألقت يدًا فى كافر وأجن عورات الثغور ظلامها

يعنى الشمس ألقت يدًا فى ليل مظلم، وستر الظلام الفجاج والطرق. وأنشدنى أبو عبد الله بن الحسين الوضاحى:

يا غافلا عما تجن ضلوعى أنسيت ويحك عبرتى ودموعى؟

وجن الليل بجن جنونًا وجنانًا إذا دخل. ومنه قوله سبحانه: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا﴾ وأجن الليل الشىء أجنانًا إذا غطاه بظلامه. قال العتبى: وأجنه الليل أى جعله فى ظلامه فى جنة، قال الشاعر يصف مفازة:

وصرماء مذكار كأن دويها يعيد جنان الليل مما يخيل

حديث أناسى فلما سمعته إذا ليس فيه ما أبين فأعقل

وقال الشاعر:

ولولا جنون الليل أدرك ركضنا

بذى الرمث والأرضى عياض بن ناشب

الصرماء المفازة التى تصرم الناس عن الماء أى تقطعهم. والمذكار التى لا يدخلها إلا ذكور الرجال لصعوبتها كالمرأة المذكار التى لا تلد إلا الذكران. والجنان القلب سمى بذلك لاستتاره.

أنشدنى أبو الحسن محمد بن على القزاز لديك الجن:

خذ يا غلام عنان طرفك (فارحمه)[1] عنى فقد ملك الشمول عنانى

سكران سكر هوى وسكر مدامه فمتى يفيق فتى به سكران

ما الشأن ويحك فى فراق فريقهم الشأن ويحك فى جنون جانى

قال العتبى: وسميت الجن لاجتنانهم عن أعين الناس. وقيل فى قوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ أى من الملائكة، سموا جنا لاجتنانهم عن الأبصار. قال الأعشى:

وسخر من جن الملائك تسعة قيامًا لديه يعملون بلا أجر

والجنة البستان لالتفاف الشجر. والجنة الدرع والترس لأنهما يستران. والجنة بالكسر الجنون. والجن أيضًا، قال الله جل ذكره: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا﴾ يعنى حين قالوا: إن الملائكة بنات الله، وقال فى معنى الجنون: ﴿ولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾ وأما قوله تعالى: ﴿من الجنة والناس﴾ قال قتادة: إن الشيطان يوسوس الجن كما يوسوس الناس، والمعنى الذى يوسوس فى صدور الجنة والناس. والجنن القبر، لأنه ساتر، قال الشاعر:

لقد أدرجت ليلى هنالك فى جنن فصبرًا جميلا حين ما ينفع الحزن

والجنين: الولد فى بطن الأم، لأنه مستور، وتقول العرب للنبت إذا وطأ وكثر تكاوس والتف واستجلس واعلنكس: تجان. وتجان الرجل إذا تكلف الجنون وليس بمجنون. وكذلك تحامق وتناوم وتكاسل، قال العجاج:

إذا تجازرت وما بى من جزر ثم كسرت العين من غير عور

---

(١) فى الأصل «فاحره».

وكل هذا يؤول إلى معنى الاستتار، فالمجنون المستور العقل، والفعل منه حين يجن جنونًا وهو مجنون، وأجنه الله فهو مجنون، وهذا الباب نادر فى اللغة ونظيره وأزكمه الله فهو مزكوم، واحمه فهو محموم، واضأده مضؤود أى كمه، وأحببت فلانًا فهو محبوب، وهذا هو السائر وقد قالوا محب. قال عنترة العبسى:

ولقد نزلت فلا تظنى غيره منى بمنزلة المحب المكرم

***

أسماء المجنون

- فى اللغة -

للمجنون فى اللغة أسماء كثيرة. وقد مضى تفسير المجنون. منها الأحمق، والفعل منه حمق يحمق حمقًا وحماقة فهو أحمق، قال الشاعر:

سبحان من أنزل الأشياء منزلها وصير الناس مرفوضًا ومرموقًا

فعاقل فطن أعيت مذاهبه وجاهل حمق تلقاه مرزوقًا

والجمع حمقى كقولك: قتلى وصرعى وهلكى وحرقى وغرقى، قال الشاعر:

رزقت مالا فعش مما رزقت به فلست أول من حمقى بمرزوق

لو كان باللب يعطى ما تعيش به لما ظفرت من الدنيا بمفروق

ومنها المعتوه: وهو الذى يولد مجنونًا. والفعل منه عته فهو معتوه.

ومنها الأخرق: وهو الذى لا يحسن التقدير والتدبير والمرأة خرقاء. قال أبو عبيدة: لا يقال خارق إلا للمقدر بعلم وتدبير، فإذا قدر بغير علم قيل أخرق وخرقًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه﴾ قال مجاهد: أى كذبوا. قال أبو عبيدة: اختلقوا، وقرأ أهل المدينة بالتشديد وخففه الكسائى وأبو عمر. والاسم الخرق بضم الخاء. والخرق أيضًا جمع الأخرق.

ومنها المائق: والموق أيضًا جمع المائق كقولهم عائط وعوط وحائل

وحول للشاة التى لم تحمل، وعائد وعود للناقة القريبة النتاج، وفاره وفره، قال الشاعر:

وغرة مرة من فعل غر ... وغرة مرتين فعال موق

إذا لم تبق بالصحاح زلت ... من الصحاح رجلك فى العميق

وحسن الظن عجز فى أمور ... وسوء الظن يأمر بالوثيق

ولا تفرح بأمر أن تدانى ... ولا تيأس من الأمر السحيق

فإن القرب يبعد بعد قرب ... ويدنو البعد بالقدر المسوق

أنشد أبى رحمه الله الله تعالى، وقال: أنشدناه أبو سلمة المؤدن لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى.

ومنها الرقيع والمرقعان: وهو الأحمق الذى يتمزق عليه رأيه وعقله، والفعل منه رقع رقاعه فهو رقيع كقولك بلد بلاده فهو بليد. أنشدنا أبو بكر أحمد بن سعد بن نصر بن بكار الفقيه البخارى بها، قال: أنشدنا عبيد الله بن عبد الله:

وما الناس إلا وعاة العلوم ... وسائرهم غنم فى قطيع

ومنها الممسوس: وهو الذى يتخبطه الجن أو الشيطان والاسم المسمى (؟) ومنه قوله جل ذكره ﴿كالذى يتخبطه الشيطان من المس﴾

ومنها المخبل والمخبل: والاسم الخبل ويقال: رجل مخبل ومخبول ومختبل، قال الأعشى:

علقتها عرضًا وعلقت رجلا غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

وعلقته فتاة ما يحاولها من قومها ميت يهذى بها وهل

وكلنا مغرم يهذى بصاحبه ناءٍ ودان ومخبول ومختبل

ومنها الأنوك: والفعل منه نوك ينوك أنوك كقولك حول فهو أحول، وسألت أبا منصور الإمام الأزهرى رحمه الله بهراة: فلم يذكر منه فعلا. والاسم النوك بضم النون والجمع نوكى قال الشاعر: (وكيف يكون النوك إلا كذلكا).

وأنشد الأصمعى:

تضحك منه شيخة ضحوك واستنوكت وللشباب نوك

ومنها البوهة: قال الشاعر:

ويا هند لا تنكحى بوهة عليه عقيقته أجنا

ومنها الذولة: بالذال المعجمة. والموتة ضرب من الجنون، ولم أسمع منه للمجنون اسمًا.

سمعت الإمام أبا حامد الخارزنجى يقول: النطاة الجنون، قال: وتقول العرب: فلان من فرط نطاته لا يعرف قطاته من لطاته. القطاة ومقعد الردف من الدابة واللطاة دائرة فى الجبهة.

ومنها العرهاة: قال الشاعر:

ومن لم يواس الناس مما بكفه فذلك عرهاة من العقل مبلس

ومنها الأولق: والفعل منه ولق يولق. والولق الاسم. وأما الولق

بسكون اللام فهو الكذب. وقرأت عائشة رضى الله عنها "إذا تلقونه بألسنتكم" والفعل منه ولق يلق ولقا، قال الأعشى:

ويصبح من غب السرى فكأنما ألم بها من طائف الجن أولق

ومنها المهووس: والاسم الهموس، وهو ضرب من الجنون، فإن كان قدرًا (؟) فى جنونه فهو أغفل.

ومنها الهلياجة: وهو الأحمق الكثير الأكل قاله الخليل بن أحمد ومنها اللكع: وهو الأحمق اللئيم. وقال غيره: هو العبد.

ومنها الجذب: قال ابن السكيت: يقال رجل جذب وفيه جذب أى فضل الحمق.

ومنها الهجاجة: قال الأصمعى يقال للرجل الأحمق الكثير الخطأ رجل هجاجة.

ومنها الرشاع: قال ابن السكيت: والزهدن الأحمق أيضًا، وأنشد فى كتاب الألفاظ:

قلت لها إياك أن تركنى عندى فى الجلسة أوتلبنى

عليك ما عشت بذات الزهدن

ومنها المبلغ: قال الأصمعى: هو الأحمق. والجعبس الأحمق أيضًا، قال الراجز:

لما رأيت سد الليل ادمسا[1] ليلا دجوجى الظلام عرمسا

وصم كسره الغيام الجعبسا

(١) كذا فى الأصل ولعل الصواب «لما رأيت الليل سدا أدمسا».

والهلباجة. وقد ذكر آنفًا. قال ابن السكيت: قال خلف ابن الأحمر: قلت لابن كبشة بنت السعترى: ما الهلياجة (؟) فتردد فى صدره ما لم يتهيأ له إخراجه، ثم قال الهلجاجة الأحمق الذى لا خير عنده.

وقرأت فى كتاب النوادر لأبى زيد سعيد بن أوس: رجل مألوس أى مجنون وقد ألس إذا جن.

ومما يضارع هذا الباب ويقرب منه وليس بعينه المتيم وهو العبد تيمه الحب، أى عبده واستعبده ومنه أيم اللات كأنه عبد اللات.

ومنها الأهوج: والفعل منه هوج يهوج هوجًا فهو أهوج.

ومنها الهائم: وهو ذاهب العقل.

تركونى مدلها ارتجى حج قابل
بعدما كنت ناسكًا زال نكى بباطل

ومنها الأبلة: والفعل منه بله.

ومنها المستهتر: قال الشاعر:

فبعثن وردًا لخلى وزدن فى برجاء وجد العاشق المستهتر

ومنها الواله: والاسم الوله، وهو عند العرب الذى فقد ولده ففقد صبره قال الأعشى يصف بقرة:

فأقبلت والهًا تكلى على عجل كل دهاها وكل عندها اجتمعا

والهبنقع الأحمق المبالغ فى حمقه، قال الشاعر:

ومهور نسوتهم إذا ما نكحوا عدوى وكل هينقع تنبال

فهذه كلها أسماء المجانين وعيارها المجنون والأحمق.

الأمثال المضروبة

- فى الحمق والحمقى -

منها قولهم "تحسبها حمقاء وهى باخس" أى أنها مع حمقها تظلم الناس، قال ثعلب: هكذا جرى المثل بغير هاء[1] ومثله "خرقاء عيابه" أى مع حمقها تظلم غيرها وتعيب غيرها، قال خلف الأحمر: ومن أمثالهم "أحمق بلغ" أى أنه مع حمقه يبلغ حاجته. ومن أمثالهم فيه "خرقاء ذات نيقة" أى أنها حمقاء وهى مع ذلك تتأنق فى الأمور، قال أبو عبيد: فإذا اشتد موق الرجل قيل "ثأطة مدت بماء" والتأطة الحمأة فإذا أصابها ماء ازدادت فسادًا، قال الأصمعى: ومنها "أحمق من رجله" وهى البقلة الحمقاء، وحمقها أنها تنبت فى السروح ومسايل الأدوية فيجىء السيل فيجرفها. وشبه بها أهل الحقائق من يعمر دنياه وهو يعلم فناءها، قالوا: مثل عامر الدنيا مثل البانى على الماء. والماء لا يثبت عليه شىء.

حدثنا أبو القاسم منصور بن العباس بيوشنج قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الهروى قال: حدثنا ابن أبى الدنيا قال: حدثنا إسحاق ابن إسماعيل قال: أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد قال: قال عيسى ابن مريم عليهما السلام: من ذا الذى يبنى على موج البحر دارًا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا. وقال أيضًا: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها. وقال سابق البربرى فى قصيدة له:

---

(١) أى "باخس" لا "باخسة" وفى أمثال الميدانى: "ويروى باخسة. فمن روى باخس أراد أنها ذات بخس تبخس الناس حقوقهم، ومن روى باخسة رواء على ما بخست فهى باخسة.

لكم بيوت بمستن السيول وهل يبقى على الماء بيت أسه مدر

وقال أبو عمرو الشيبانى: ومن أمثالهم فى الحمق "أنه لا حمق من ترب العقد" والعقد عقد الرمل، وحمقه أنه ينهار ولا يثبت فيه التراب يضرب للذى لا يثبت ولا يستقر على حال. قال ابن الكلبى: ومن أمثالهم فى هذا "أنه لا حمق من دغة" وهى امرأة عمرو بن جندب بن العنبر[1] ووصف من حمقها ما يسمح ذكره، وقال الأصمعى: ومن أمثالهم "أحمق من المهمورة إحدى خدمتيها" وذلك أن زوجها قضى حاجته منها ثم طلقها فقالت أعطنى حقى فنزع إحدى خدمتيها وهما الخلخالان من رجلها فأعطاها فسكتت ورضيت.

وتقول العرب للمبالغ فى الجنون. جنونه مجنون. سمعت أبا الحسن محمد بن الحسين الحاكم ببوشنج يقول: سمعت جدى عبد الملك بن محمد ابن عدى يقول: سمعت جدى يقول: سمعت الربيع بن سليمان يقول: قال الشافعى رحمه الله لبعض أصحابه:

جنونك مجنون ولست بواجد طبيبًا يداوى من جنون جنون

ومنها الضبع وزعموا أنها أحمق الدواب فإنها تشد يداها ورجلاها ويقال لها لست ها هنا فتسكب وترضى. وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم فتخرج حتى تصاد. وكنيتها أم عامر يضرب بها المثل فيقال: خامرى أم عامر، كما قال الشاعر:

فلا تدفنونى إن دفنى محرم عليكم ولكن خامرى أم عامر

---

(١) وفى أمثال الميدانى أنها ماربة بنت منج أو منعج. وفى جمهرة الأمثال للعسكرى: قيل هى دوبة وقيل الفراشة لأنها تحرق نفسها.

أى دعوى للتى يقال لها أم عامر حتى تأكلنى ولا تدفنونى بعد موتى. وأنشدنى أبى رحمه الله.

عرقب الضبع وقالوا غائب رضى القول وأغضى وصبر

ومنها العقعق، تقول العرب "أنه لا حمق من العقعق" وحمقه أن ولده أبداً ضائع. قال ابن الكلبى: تقول العرب "أنه لا حمق من جماعة عقعق" وذلك لأنها تبيض على الأعواد فربما وقع بيضها فانكسر.

***

أسماء جنون الدواب

تقول العرب لجنون الإبل "الهيام" وهو داء يأخذها فتهيج وتهيم ويقال لجنون الشاة "الثول" وهى ثولاء، ولجنون الكلب "الكلب" فهو كلب كلب. "والسعر" ضرب من جنون النوق، تقول العرب "ناقة مسعورة" إذا كانت مجنونة. وتأول بعضهم قوله جل ذكره "أن المجرمين فى ضلال وسعر" أى جنون.

ضروب المجانين

المجانين على ضروب، فمنهم "المعتوه" وقد مضى تفسيره ومنهم "المرور" وهو الذى أخرقته المرة، ومنهم "المسوس" وهو الذى يتخبطه الجن والشياطين، ومنهم "العائشق" الذى تيمه الحب فأجنه.

سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن مسعود النسوى بها، يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السركرى (؟) ببغداد يقول: سمعت زكريا بن يحيى بن خلاد المنقرى يقول: سمعت

الأصمعي يقول: لقد أكثر الناس فى العشق فما سمعت بأوجز ولا أجمل من قول أنشدنا بعض نساء الأعراب وسئلت عن العشق فقالت: داء وجنون.

أنشدنا أبو محمد أحمد بن إسحاق الخزلجى (؟) بمرو قال عبد الله بن بهلول بقرميسين.

وما عاقل فى الناس يحمد أمره ... ويذكر إلا وهو فى الحب أحمق

وما من فتى قد ذاق بؤس معيشه ... من الناس إلا ذاقها حين يعشق

سمعت أبا الحسن مظفر بن غالب الهمدانى يقول: سمعت أبا بكر محمد بن يحيى الصولى قال: اعتل عبد الله بن المعتز فأتاه أبوه عائدًا، وقال له: ما عراك يا بنى؟ فأنشأ يقول:

أيها العاذلون لا تعذلونى ... وانظروا حسن وجهها تعذرونى

وانظروا هل ترون أحسن منها ... إن رأيتم شبيهها فاعزلونى

بي جنون الهوى وما بى جنون ... وجنون الهوى جنون الجنون

قال: فتتبع أبوه الحال حتى وقع عليها فابتاع الجارية التى شغف بها بسبعة آلاف دينار ووجهها إليه.

أنشدنى أبو منصور مهلهل بن على العنزى

أبدر بدا أم وجهك القمر السعد ... أليل دجا أم شعرك الفاحم الجعد؟

أنرجسة هاتيك أم هى مقلة ... أتفاحة ذاك المضرج أم خد؟

أموج إذا ولیت أم كفل بدا ... أغض لجين فى الغلالة أم قد؟

كذا لو تأملت الذى بى لقلت لى ... أهذا جنون ثابت بك أم وجد؟

سمعت أبا العباس الرازى الصوفى يقول: سمعت الشبلى يقول ذات يوم لأصحابه: ألست عندكم مجنونًا وأنتم اصحاء (؟) زاد الله فى جنونى زاد صحتكم! ثم أنشد.

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ما لذة العيش إلا للمجانين!

أنشدنا أبو العباس أحمد بن سعيد المغربى قال: أنشدنا أبو عمرو محمد ابن إسماعيل الضرير قال حدثنا وأنشدنا أيوب بن غسان وهو يقول:

ودعتنى بعبرة من جفون أضمرت فيضها حذار العيون

ومضت خلفها وقد خلفتنى ألف ضر وفورة وجنون

فشكوت الفراق بالنفس الدا ثم حتى هتكت سر الظنون

أنشدنى أبو سعيد أحمد بن زاوية الفارسى الكاتب:

ألا قل للأحبة يرفقونا فإن الحب أورثنا الجنونا

أنشدنى أبى رحمة الله قال أنشدنا أبو محمد الزنجانى لبعض الأعراب

أحبك حبًا لو علمت ببعضه أصابك من وجد عليك جنون

لطيفًا على الأحشاء أم نهاره فسكت وأما ليله فأنين[1]

وحكى لى عن حبيب بن محمد بن خالد الواسطى قال دخلت يوم على

---

(١) كذا فى الأصل. وفى ديوان قيس بن الملوح المجنون:

أحبك حبا لو تحبين مثله أصابك من وجد على جنون

وصرت بقلب عاش أما نهاره فحزن وأما ليله فأتين

'وفى العقد الفريد'

لطيفًا مع الأحشاء أما نهاره فدمع وأما ليله فأنين

على بن هشام فوجـدته باكيًا حزينًا ذاهب النفس فأنكرته وسألـته عما دهاه، فقال اعلم أنى مررت الآن بالخـربية فرأيت مجنونًا مصفـدًا بالحديد يتمرغ فى التراب ويقول:

الا ليـت أن الحب يعـشق مـرة فـيـعـرف مـاذا كان بـالناس يصنع

يقـولون خـذ بالـصـبـر أنك هالك وللصـبـر منى فى مـصـابى أجـزع

سمعت أبا على الحسن بن أحمد القـزوينى يقول سمعت بعض السياح يقول رأيت مجنونًا فى القفار وهو يرقص ويقول:

حبكم فى القفار شردنى آه مـن الحـب ثم آه

وهذا باب يطول شرحه إلا أنه يذكر فى أثناء أخـبار المجانين وستراه فى موضعه إن شاء الله تعالى.

* * *

فصل

من اعتقد بدعة وارتكب كبيرة فأدركه شؤمها فجن

حدثنا أبو على بن محمد بن سبطم (؟) الدهانينى البلخى - قدم علينا حاجا - قال حدثنا هشام بن عمار عن سعيد بن يحيى قال رأيت مجنونًا يحمص مصروعًا قد اجتمع عليه الناس، فدنوت منه، فقلت آلله أذن لكم أم على الله تفترون؟ فجرى على لسانه لسنا ممن يفترى على الله دعه يمت فإنه يقول بخلق القرآن.

أخبرنا أبو القاسم منصور بن العباس ببوشنج قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الهروى قال حدثنا ابن أبى الدنيا قال حدثنا الحسين بن عبد الرحمن قال لقيت بمنى مجنونًا مصروعًا كلما أراد أن يؤدى فريضة أو يذكر الله صرع فقلت على ما يقوله الناس إن كنتم يهودًا فبحق موسى وإن كنتم نصارى فبحق عيسى وإن كنتم مسلمين فبحق محمد ﷺ إلا ما ما خليتم عنه، فقالت الجن لسنا يهودًا ولا نصارى ولكنا وجدناه يبغض أبا بكر وعمر فمعناه من أشد أموره.

حدثنا أبو عبد الرحمن عمر بن أحمد بن على الجوهرى بمرو قال حدثنا أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم قال حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مهزاد، حدثنا مسلمة، أخبرنا عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال بلغنى أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان رضى الله عنه جنوا.

فصل
من يسمى مجنونًا بلا حقيقة
كالشاب والمتصابى والسكران

كانت العرب تقول الشباب شعبة من الجنون. أنشدنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحارث المؤدب بيوشنج عن أحمد اليمانى أنه أنشده وقال:

ما العيش إلا بجنون الصبى فإن تولى فجنون المدام

كأسًا إذا ما الشيخ والى بها فيتردى برداء الغلام

* * *

فصل

من جن من خوف الله سبحانه

حدثنا أبو الفضل العباس بن هزار بن محمد بن هزار بن الخطيب، بمرو، قال حدثنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى، قال حدثنا على بن الجعد أخبرنا شعبة قال بلغنى عن عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز النخعى أنه كان يصلى فى مسجد على عهد عمر رضى الله عنه فقرأ الإمام ذات ليلة "ولمن خاف مقام ربه جنتان" فقطع صلاته وجن وهام على وجهه ولم يوقف له على أثر.

حدثنا أبو الحسن بن موسى السلامى بهراة، قال حدثنا أحمد بن يعقوب البسطامى حدثنا خلف بن عمر الصوفى قال سمعت أبا يزيد يقول: جننتنى بى فمت ثم جننتنى به ثم قشعت ثم جننتى عنى وعنه فغبت ثم أوقفنى فى درجة الجنون وسألنى عن أحوالى الثلاث فقلت الجنون بى فناء والجنون بك بقاء والجنون عنى وعنك ضناء وأنت فى كل الأحوال أولى بنا.

حدثنا أبو الحسن المظفر بن محمد بن غالب قال حدثنا أبو على الحسن بن محمد بن أحمد البغدادى قال: حدثنا محمد بن يحيى بن مسلم عن صالح المرى أن رجلا من الزهاد مر ذات ليلة برجل يقرأ ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون﴾ فجعل يصيح ثم مزق ثيابه وغلب على عقله، فأخذ وقيد ومات على ذلك.

أخبرنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن منصور قال حدثنا ابن أبى الدنيا قال حدثنا الصلت بن مسعود الجحدرى: حدثنا فضل بن سليمان عن يونس

بن محمد بن فضالة قال: خرجنا مع الربيع بن خيثم فمررنا على حداد ومعنا فتى فقام الربيع ينظر إلى حديدة فى النار فوقع الفتى فأغمى عليه فتركناه ومضينا لحاجتنا فعدناه إذا هو على تلك الحال ثم بلغنا أنه جن فمات فى جنونه.

حدثنا محمد بن سليمان قال حدثنا ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثنى مالك بن ضيغم قال: مر بكر بن معاذ برجل يقرأ ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ فاضطرب وخر ثم صاح ارحم من أنذر ثم لم يقبل إليك بعد النذير! ثم غلب على عقله فلم يفق حتى مات.

وحدثنا أبو جعفر محمد بن شبيب حدثنا هشام بن عبد الله قال: نظر الحارث ين سعيد فى قبر منخسف فوقع مغشيًا عليه ثم رفع وقد زال عقله فبقى كذلك حتى مات.

حدثنا ابو زكريا محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن معبد الآملى قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الدريدى: حدثنا العباس بن الفرج الرياشى عن محمد بن يونس البكرى قال: سمع حذيفة العابد رجلا يقرأ ﴿وعرضوا على ربك صفا﴾ فهام على وجهه ولم ير بعد.

أخبرنا أبو القاسم منصور بن العباس حدثنا محمد بن إبراهيم بن خالد الهروى حدثنا أبو الطيب محمد بن أحمد اليافى بفلسطين حدثنا الحسن بن محمد بن المبارك الصورى عن أبيه قال: قرأ رجل بين يدى معاذ بن نصر ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر﴾ الآية فجعل يتمرغ فى التراب ويضطرب ويصيح ثم هام على وجهه ولم يوقف له على أثر.

وأخبـرنا منصور بن مـحمد بن إبراهيم عن أبى الدنـيا عن محـمد بن الحسين عن عمار بن عثمان عن بشـر بن عبد العزيز قال: كان عمر بن ذر لا يخرج إلا إلى الصلاة أو الجنازة فسمع قـارئًا يقرأ ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ فصرخ صرخة فخولط فلم يزل على ذلك حتى مات.

* * *

فصل

من تجان وتحامق وهو صحيح العقل

وهم ضروب، فمنهم من تعاطى ذلك ليرى شأنه ويستره على الناس. سمعت أبا موسى عمران بن محمد بن الحصين يقول: سمعت إبراهيم بن الحارث الكرمانى يقول سمعت أحمد الدروقى يقول قال مالك بن دينار: رأيت بالمصيصة شيخًا فى عنقه غل وسلسلة والصبيان يرمونه وهو يقول:

إن من قد أرى على صور النا س وإن فتشوا فليسوا بناس

قال فتقدمت إليه فقلت أمجنون أنت (؟) قال أنا مجنون الجوارح لا مجنون القلب ثم مر وأنشأ يقول:

واريت أمرى بالجنون عن الورى كيما أكون بواحدى مشغول!

يا من تعجب فى الأنام لمنطقى ماذا أقول ومنطقى مجهول؟

سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله الأصبهانى يقول سمعت أبا بكر ابن ظاهر الأبهرى يقول سمعت عمران بن على الرقى يقول: كان إبان ابن سيار الرقى رئيس القراء بالرقة وكان مع ذلك أهل علم فأكل الذئب بنيًا له وكان واحده، وكان مشغوفًا به، ولم يتمالك، وهام على وجهه، فغلب مليا ثم عاد وقد يرم بالناس. فجنن نفسه، وجعل لا تطمئن به دار ولا يستقر به قرار، فخبرت بشأنه فأتيته بأصحاب لى، فألقيته فى الجامع يكلم بعض الأساطين، فقلت يا غبان أجننت؟ قال نعم عندك وعند إضرابك. فقلت كيف؟ فأنشأ يقول:

جننت عن عقلي لديكم وما قلبي والله بمجنون

أجن مني وإله الورى من اشتري دنياه بالدين

وكنت قد ابتعت ضيعة من بعض السلاطين أنه يعنيني فتسورت ووالله ما عاودته بعد.

وقال الفرزدق أمر عمرو بن هند ملك العرب لطرفة وجرير المتلمس بكتابين إلى عامله بالبحرين بإهلاكهما وهما لا يشعران فمرا برجل على قارعة الطريق يحدث ويتفلى ويأكل، فقال المتلمس بالله ما رأيت أحمق من هذا، فقال الرجل وما رأيت من حمى، أخرج خبيثًا وأدخل طيبًا، وأقتل عدوًا، أحمق والله مني من حمل حتفه بيده. ففك المتلمس كتابه فإذا فيه "أبعد فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وأدفنه حيا" فرمى بالكتاب وأنشأ يقول:

قذفت بهذا القط من جنب كافر كذلك أرمي كل قط مطلل؟[1]

وقال لطرفة: منك كتابك، فقال هو لا يجترئ على إهلاكي، فذهب بالكتاب فإذا فيه "إذا أتاك طرفة فاقطع أكحله ولا تشده حتى يموت ففعل وأنشأ طرفه يقول:

كل خليل كنت خاللته لأترك الله له واضحه

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

---

(١) كذا في الأصل. وفي جمهرة الأمثال للعسكري:

فألقيتها بالثني من جنب كافر كذلك أفنو كل قط مضلل

رميت بها في الماء حتى رأيتها يجول بها التيار في كل جدول

قال العسكري: و"كافر" اسم نهر الحيرة.

فصل

من تحامق لينال غنى

سمعت أبا نصر محمد بن مزاحم البدخشى، قدم علينا حاجا، قال سمعت سعيد بن على بن عطاف الطاحى بالبصرة يقول: كان عندنا رجل عاقل أديب فهم شاعر يقال له عامر وكان مع أدبه محرومًا مجازفًا، فقال لى رجل من أصحابى إن صديقك عامرًا قد جن، فجعلت أطلبه حتى ظفرت به فى بعض القرى والصبيان حوله يضحكون، فقلت له: يا عامر مذكم صرت بهذه الحال؟ فأنشأ يقول:

جننت نفسى لكى أنال غنى ... فالعقل فى ذا الزمان حرمان

يا عاذلى لا تلم أخا حمق ... تضحك منه فالحمق ألوان

وعلى هذا على بن صلوة القصرى كان ممن يجيد الشعر وكان محرومًا لا يؤبه له، ومن جيد شعره:

لسان الهوى فى مقلتى لك ناطق ... يخبر عنى أنتى لك وامق!

ولى شاهد من ضر جسمى معدل ... وقلب عليل فى ودادك خافق!

وما كنت أدرى قبل حبك ما الهوى ... ولكن قضاء الله فى الخلق سابق!

ثم تحامق وأخذ فى الهزل فحسنت حاله وراج أمره حتى أن الملوك والإشراف أولعوًا به، ومن قوله:

غياث بن عبد الله يطعم ضيفه ... رءوس الجدايا طبخها بأرياجها

وهذا محال فى الطعام لأنما ... رءوس الجدايا حقها سكباجها

وما أشبه ذلك

سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن الجنيد يقول سمعت محمد بن زكريا الغلابى يقول: مر بعض الأدباء بمجنون يتكلم، فتأمل كلامه، فإذا هو رصين يدور على الأصول، فقال له ما حملك على التحامق؟ فقال:

لما رأيت الحظ حظ الجاهل ... ولم أر المغبون مثل العاقل!

دخلت عيشًا من كرام نائل ... فصرت من عقلى على مراحل!

أنشدنا أبو نصر محمد بن أحمد التميمى بسرخس:

إن كنت تهوى أن تنال المالا ... فالبس من الحق غداً سربالا!

* * *

فصل

من تحامق ليرخى وقتًا ويطيب عيشًا

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن صالح الأندلسى المعافرى قال أخبرنا بكر بن حماد السهربى قال حدثنا صالح بن على النصيبينى قال: قلت لزيد بن سعيد العبدى: مالى أراك نكرت حالك وزيك؟ قال: جددت فشقيت ثم تحامقت فأرحت واسترحت.

أخبرنا أبو الحسن المظفر بن محمد بن غالب الهمذانى برباط قراوة قال أنشدنا محمد بن إبراهيم بن عرفة الأسدى نفطويه قال أنشدنا العباس بن محمد الرودى الشافعى:

وأنزلنى طول النوى دار غربة ... إذا شئت لاقيت امرءًا لا أشاكله

فحامقته حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

أنشدنا أبو جعفر محمد بن على بن الطيان القمى هذا الشعر

تحامق تكب عيشًا ولاتك عاقلا ... فعقل الفتى فى ذا الزمان عدوه

فكم قد رأينا ذا نهى صار خاملا ... وذا حمق فى الحمق منه سموه

ولأبى الربيع محمد بن على الصفار البلخى:

طاب عيش الرقيع فى ذا الزمان ... والجهول الغفول والصفعان

فاغتنم حمقك الذى فيه ... تحظ بالمكرمات والإحسان

وأنشدنى أبو منصور مهلهل بن على الغنوى:

الروح والـراحـــة فى الحـــمق وفى زوال الـعـــقـل والخـــرق

فـــمن أراد العـــيش فى راحـــة فليلـزم الجـــهـل مع الحـــمق

ورأيت فى بعض الكتب:

إذا كـــان الزمـــان حـــمق فـإن العـقـل حـرمـان وشـوم

فكن حـمقًـا مـع الحـمـقى فـإنى أرى الدنيـــا بدولـتـــهـم تدوم!

* * *

فصل

من تحامق لينجو من بلاء وآفة

حدثنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان سنة ثمانون وثلاثين بمرو الروذ قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباس الديرى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى طاوس عن أبيه قال: لما وقعت الفتنة زمن عثمان رضى الله عنه قال رجل لأهله أوثقونى فإنى مجنون كيلا أوذيكم، فأوثقوه، فلما قتل عثمان رضى الله عنه قال خلوا عنى فقد صحوت والحمد لله الذى عافانى من قتل عثمان.

سمعت الحسن بن عمران الحنظلى، بهراة، يول حدثنا أبو عبد الله محمد بن حفص الفارسى حدثنا منصور بن سعيد الرازى. حدثنا قاسم بن محمد بن عريب من ولد أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال: ادخل عبادة المخنث على الواثق والناس يضربون ويقتلون فى الامتحان قال فقلت والله لئن امتحننى قتلنى فبدأته فقلت اعظم الله أجرك أيها الخليفة فقال فيمن؟ فقلت: فيث القرآن قال ويحك والقرآن يموت؟ قلت نعم كل مخلوق يموت فإذا مات القرآن فى شعبان فبايش يصلى الناس فى رمضان؟ فقال: اخرجوه فإنه مجنون..

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله قراءة عليه قال حدثنا عبد الله بن محمود البغدادى قال حدثنا محمد بن يحيى البصرى قال: دعا المنصور أبا حنيفة والثورى ومسعراً وشريكًا ليوليهم القضاء، فقال أبو حنيفة: أنا أتحامق فيكم فأقال وأتخلص، وأما مسعر فيتجان ويتخلص، وأما سفيان

فيهرب، وأما شريك فيقع، فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة رحمه الله أنا رجل مولى ولست من العرب ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى ومع ذلك فإنى لا أصلح لهذا الأمر، فإن كنت صادقًا فى قولى فلا أصلح له، وإن كنت كاذبًا فلا يجوز لك أن تولى كاذبًا دماء المسلمين وفروضهم. وأما سفيان فأدركه المشخص فى طريق فذهب لحاجته فانصرف المشخص ينتظر فراغه فبصر سفينة فقال للملاح إن مكنتنى من سفينتك وإلا ذبحت بغير سكين. تأويل قول النبى ﷺ "من جعل قاضيًا فقد ذبح بغير سكين" فأخفاه الملاح تحت السارية. وأما مسعر بن كدام فدخل على المنصور فقال له: هات يدك، كيف أنت وأولادك ودوابك؟ فقال: أخرجوه فإنه مجنون؟ وأما شريك فقال المنصور تقلد فقال أنا رجل خفيف الدماغ، فقال تقلد وعليك بالعصيد والنبيذ الشديد حتى يرجح عقلك، فتقلد، فهجره الثورى وقال أمكنك الهرب فلم تهرب.

حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن يحيى، واللفظ له، قال حدثنا محمد بن المسيب بن إسحاق الأرغيانى قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفى قال: كتب الخليفة إلى عبد الله بن وهب فى قضاء مصر، فتجبن نفسه ولزن بيته، فاطلع عليه راشد بن سعد وهو يتوضأ فى صحن داره، فقال أبا محمد ألا تخرج إلى الناس فتقضى بينهم بكتاب الله وسنة رسول الله فقد جننت نفسك ولزمت بيتك. فرفع إليه رأسه وقال: إلى ههنا انتهى عقلك؟ أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأنبياء وإن القضاة يحشرون مع السلاطين؟

حدثنا أبو القاسم منصور بن العباس الفقيه بيوشنج قال حدثنا أبو عبد

الله بن محمد بن عبد الرحمن السلمى قال: دعا الخليفة أيام المحنة محمد بن مقاتل الرازى وأبا الصلت عبد السلام بن صالح الفهندرى فقال لمحمد بن مقاتل: ما تقول فى القرآن؟ قال أقول: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فإن هذه الأربعة مخلوقة وأشار إلى أصابعه الأربع، فنجا، فقال لأبى الصلت ما تقول؟ قال تعز يا أمير المؤمنين قال عمن ويلك؟ قال عن ﴿قل هو الله أحد﴾ فإنه مات. قال فكيف؟ قال إن كان مخلوقًا فإنه يموت! فقال مجنون أخرجوه، فأخرج فنجا.

أخبرنا يوسف بن أحمد بن محمد بن قيس السنجرى قال أخبرنى عبد الله بن محمد الدينورى قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم البستى عن أبيه قال سمعت يحيى بن معين يقول: لما أدخلت على الخليفة قال لى ما تقول فى القرآن! قلت مخلوق، عنيت به قرآن ابن تمام.

حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن أحمد بن علك الجوهرى، بمرو، قال حدثنا يحيى بن ساسويه بن عبد الكريم قال حدثنا على بن حجر قال: أخبرنا شعيب بن صفوان عن أبى معشر أن رجلا آلى بيمين أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس، لما قاسى من بلاء النساء، فاستشار تسعة وتسعين نفسًا وبقى واحد، فخرج على أن يسأل أول من نظر إليه فرأى مجنونًا قد اتخذ قلادة من عظم وسود وجهه، وركب قصبة فسلم عليه وقال مسألة، فقال سل ما يعنيك وإياك وما لا يعنيك، فقلت مجنون والله ثم قلت: إنى أصبت من النساء بلاء وآليت أن لا أتزوج حتى أستشير مائة نفس وأنت تمام المائة، فقال: اعلم أن النساء ثلاث، واحدة لك وواحدة عليك، وواحدة لا لك ولا عليك، فأما التى لك فشابة طرية لم تمس الرجال فهى

لك لا عليك إن رأت خيـراً حمدت وإن رأت شرا قالت كل الـرجال على ما مثل هذا، وأما التى عليك فامرأة ذات ولد من غيرك فهى تسلخ الزوج وتجمع لولدها، وأما التى لا لك ولا عليك فـامرأة قد تزوجت قبلك فـإن رأت خيراً هكذا يجب وإن رأت شـرا حنت إلى زوجهـا الأول. فقلت نشدتـك الله ما الذى غـير من أمـرك ما أرى؟ قـال ألم اشـترط عليك أن لا تسـأل عمـا لا يعنيك، فأقـسمت عليه، فقـال إنى رشحت للقضـاء فاختبـرت ما ترى على القضاء!

وأخبرنا أبو موسى بن الحصين قراءة علـيه قال حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق المهرجانى، حدثنا أبو على بن على ببغداد فى الدار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن أخى الأصمعى قال: سمعت عمى يقول: أخبرت أن الحجـاج بن يوسف لما فرغ من أمـر عبـد الله بن الزبير قـدم إلى المدينة فلقى شخـصًا خارجًا من أهل المدينة، فلـما رآه الحجاج قـال له: يا شيخ من أهل المدينة أنت؟ قال نعـم قال الحجاج مـن أيهم؟ قال من بنى فزارة، قـال كيف حال أهل المدينة؟ قال شـر حال! قال ومم؟ قال لما لحقـهم من البلاء بقتل ابن حوارى رسـول الله ﷺ، فقال الحـجاج ومن قتله؟ قـال قتله الفاجـر اللعين حجاج بن يوسف عليه لعاين الله وصلبه من قلـة المراقبة لله، فقال الحجاج، وقد استشاط غضبًـا: وإنك يا شيخ ممن أحزنه ذلك وأسخطه؟ قال الشيخ أى والله أسخطنى ذلك سخط الله على الحجاج وأخـزاه! قال الحجاج: أو تعرف الحجاج أن رأيته؟ فـقال أى والله إنى به لعارف فلا عرفه الـله خيراً ولا وقاه ضيـراً، فكشف الحجاج عن لثـامه وقال لتـعلم أنك أيها الشـيخ يسيل دمك الساعة، فلما ايقن بالهلاك تحامق وقـال هذا والله العجب أما والله يا حجاج

لو كنت تعرفنى مـا قلت هذه المقالة، أنا العباس بن أبى ثـور المصروع أصرع فى كل شهر خمس مرات وهذا أول جنونى، فقـال الحجاج انطلق فلا شفاك الله ولا عافاك!

***

فصل

فى ضروب الجد والعقل، ودولة الحمق والجهل

سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازى يقول سمعت العباس بن حمزة يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول سمعت هشام بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا يوسف القاضى يقول[1] ثلاثة: مجنون، ونصف مجنون وعاقل، فأما المجنون فأنت منه فى راحة، وأما نصف المجنون فأنت منه فى تعب، وأما العاقل فقد كفيت مؤنته.

أنشد أبو ذر القراطيسى:

الحمد لله كم فى الدهر من عجب ... ومن تغير أحوال وحالات

لأنتظرن إلى عقل ولا أدب ... إن الجدود قريبات الحماقات

واسترزق الله مما فى خزائنه ... فكل ما هو آت مرة آت

قال عبد الله بن سعيد الكاتب: دخل بعض الشعراء على ابن شوذب وهو الذى يضرب به المثل فى كثرة الأموال، فأتى برعيل[2] من الخيل فتأملها وقال أخرجوا منها ذلك المرعزى، ثم أتى بقطيع من الغنم فقال لا تذبحوا ذلك الأدهم. وكان الشاعر قد مدحه بقصيدة فلما رأى ذلك خرج من عنده ولم ينشده، وأنشأ يقول:

---

(١) كذا فى الأصل. ولعل هنا كلمة هى (الناس) أو بمعناها

(٢) الرعيل: القطعة من الخيل القليلة.

لا يعـــرف الضـــأن من المـعـــزى ... وبحـــسـب الأدهم مـــرعـــزى

صـــفت لـه الدنيـــا وضـــاقت لما ... تلك لعـــمـرى قـسـمـــة ضيـزى

وأنشد أبو الفضل العباس بن القاسم الطبرى:

قـل لـدهـر عـلى المكـارم غـطـى ... يا قـبـيح الفـعـال جـهـم المحيـا

كم رفـيـع حطتـتـه عـن يفـاع ... ورقـــيع ألحـــقـــتـــه بالـثـــريا

وأنشد أبو بكر أحمد بن عمران السوادى:

زمـان قـــد تفـرغ للفـــضـــول ... يسـود كل ذى حـمق جـهـول

فـإن أحببـتم فـيـه ارتفـاعًـا ... فكونـوا جـاهلين بلا عـقـول

وقال ابن الرومى:

دهر عـــلا قـــدر الرقـــيع به ... وترى الشـــريف يحطـه شـرفـه

كـالبـحـر يرسب فـيـه لؤلؤه ... سـفـلا ويعلو فـوقـه جـيفـه

وقال على بن محمد بن قادم:

عـذلونى عـلى الحـماقـة جـهـلا ... وهى مـن عـــقلهم ألذ وأحـلى

لو لقـوا ما لقيت من حرفـة العلم ... لســـاروا إلى الجـهـالـة رسـلا

ولقـد قلت حـين أغـزوا بلومى ... أيهـا اللائمـون فى الحـمق مـهـلا

حـمقى قـائم بقـوت عـيـالى ... ويمـــوتون إن تعـــاقلت هزلا

وسمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن الحسن الكازرى يقول سمعت إبراهيم بن محمد بن يريد عن عبد الله بن الأكبر مترددًا يقول: كان على سيف أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه:

للناس حرص على الدنيا بتبذير ... وصفوها لك ممزوج بتكدير
لم يرزقوها بعقل عندما قسمت ... لكنهم رزقوها بالمقادير
كم من أديب لبيب لا يساعده ... ومائق نال حظيه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة ... طار البزاة بأرزاق العصافير

ورأيت فى كتاب لابن ممشاد:

قد كسد العقل وأصحابه ... وفتحت للحمق أبوابه
فاستعمل الحمق تكن ذا غنى ... فقد مضى العقل وطلابه

وللإمام الشافعى رحمه الله:

أن امرأ رزق اليسار ولم يصب ... حمدًا ولا أجرًا لغير موفق
فالجد يدنى كل شىء شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق
فإذا سمعت بأن مجدودًا حوى ... عودًا فأثمر فى يديه فحقق
وإذا سمعت بأن محرومًا رأى ... ماء لشربته فغاض فصدق
وأشد خلق الله بالهم امرؤ ... ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

ولابن الرومى:

جاهى أدق من الصراط ... فيكم وعزى فى انحطاط
وتكايسى وتحاذقى ... يلجان فى سم الخياط
وأنا الشقى بأرضكم ... مثل المصور فى البساط

ولعلى بن محمد السيرافى:

ما عمتى إلا مقارعة العدى ... خلق الزمان وهمتى لم تخلق

والمرء كالمدفون تحت لسانه ... ولسانه مفتاح باب مغلق

إنى أرى الأكياس قد تركوا سدى ... وأزمة الأملاك طوع الأحمق

لو كان بالحيل الغنى لوجدتنى ... بنجوم أقطار السماء تعلقى

لكن من رزق الحجى حرم الغنى ... ضدان مفترقان أى تفرق

وقال بعضهم:

كم من أديب عاقل قلبه ... مكمل العقيل مقل عديم

ومن رقيع وافر ماله ... ذلك تقدير العزيز العليم

سبحان ربى إن ربى حكيم ... قد حرم العاقل فضل النعيم

ما يظلم الرب ولكنه ... أراد أن يظهر عجز الحكيم

وبلغنى أن امرأة أتت بزرجمهر الحكيم فقالت له أيها الحكيم ما بال الأمر يلتام للعاجز ويلتان على الحازم؟ قال ليعلم العاجز أن عجزه لن يضره وليعلم الحازم أن حزمه لن ينفعه وأن الأمر إلى غيرهما

قال أكتم بن صيفى حكيم العرب لبنيه: إياكم وصحبة الأحمق فإنه إلى أن يضركم أقرب منه إلى أن ينفعكم.

قال الأحنف بن قيس لبعض أصدقائه: اجتنب صحبة النوكى فإنهم لا يستقرون على حال وإياك والعتاب فإنه يفتح باب التغالى، والعتاب خير من الحقد.

قال بشر بن عمرو: اتق الأحمق فليس للأحمق خير من هجرانه.

قال أبو الحسن على بن إبراهيم:

اتق الأحمق إن تصحبه ... إنما الأحمق كالثوب الخلق

كلما رقعت منه جانبًا ... صفقته الريح وهنا فانخرق

أو كعبر السوء أن أقصدته ... رمح الناس وإن جاع نهق

قال آدم بن عيينه قلب حجر بأرض الروم فإذا عليه مكتوب:

ولا تصحب أخا الحمق ... وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى ... حكيمًا حين واخاه

يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هو ماشاه

وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

وللناس من الناس ... مقاييس وأشباه

سلمة بن بلال قال: كان فتى يعجب على بن أبى طالب رضى الله عنه فرآه يومًا يمشى رجلا متهمًا فقال: "رضى الله عنه" وذكر الأبيات

وكان بشر بن الحارث يقول: النظر إلى الأحمق سخنة عين والنظر إلى البخيل يقسى القلب

ومن عقلاء المجانين أويس القرنى قدس الله سره، وهو أول من نسب إلى الجنون فى الإسلام والمعروف من حديثه ما وجدته فى كتاب جدى سعيد بن المسيب رحمه الله ورضى عنه قال: نادى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو على المنبر بمنى: يا أهل قرن، فقام مشايخ فقالوا ها نحن

يا أمير المؤمنين فقال رضى الله عنه أوفى من اسمه أويس؟ فقال شيخ: يا أمير المؤمنين ليس فينا من اسمه أويس إلا مجنون يسكن القفار والرمال لا يألف ولا يؤلف قال رضى الله عنه ذاك الذى أعينه إذا عدتم إلى قرن فاطلبوه وبلغوه سلامى وقولوا له إن رسول الله ﷺ بشرنى بك وأمرنى أن أقرأ عليك سلامه. قال فعادوا إلى قرن فطلبوه فوجدون فى الرمال فأبلغوه سلام عمر رضى الله عنه وسلام رسول الله ﷺ فقال عرفتنى أمير المؤمنين وشهر باسمى، السلام على رسول الله ﷺ وعلى آله، وهام على وجهه فلم يوقف له بعد ذلك على أثر دهرًا، ثم عاد على أيام على رضى الله عنه مقاتلا بين يديه، وقتل مستشهدًا فى صفين أمامه، فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة وطعنة وضربة ورمية.

هرم بن حيان قال: قدمت الكوفة ولم يكن لى هم إلا أويس القرنى أطلبه واسأل عنه حتى وجدته قاعدًا على شاطئ الفرات يغسل يديه ورجليه عليه إزار من صوف ورداء من صوف، كرية الوجه، مهيب المنظر جدًا، وكان لحمًا آدم اللون شديد الأدمة كث اللحية، فسلمت عليه فرد على وقال حياك الله من رجل ومددت إليه يدى لا صافحه، ذابى أن يصافحنى فقلت وأنت فحياك الله، كيف أنت يا أويس رحمك الله؟ ثم سبقتنى العبرة من حبى ورقنى له إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى وقال: وأنت فرحمك الله يا هرم بن حيان، كيف أن يا أخى؟ ومن دلك على؟ فقلت: الله، فقال لا إله إلا الله سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا، فتعجبت حين سمانى وعرفنى ولا والله ما رأيته قط ولا رآنى فقلت من أين عرفتنى وعرفت اسمى واسم أبى فوالله ما رأيتك قط قبل اليوم؟ فقال نبأنى العليم الخبير عرفت

روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأحياء وأن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضًا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتفوا ويتعارفون ويتكلمون وأن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل، فقلت حدثنى عن رسول الله ﷺ بحديث أحفظه عنك، فقال إنى أدركت رسول الله ﷺ ولم يكن لى معه صحبة ولكنى صحبت رجالا رأوه وبلغنى كبعض ما بلغكم ولا أريد أن أفتح هذا الباب، واحتج، فقلت له اقرأ على آيات من كتاب الله تعالى وأوصنى وصية فأحفظها، فقام وأخذ بيدى وقال "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم" وشهق شهقة ثم بكى فقال: قال ربى، وأحق القول قول ربى واصدق الحديث حديثه وأحسن الكلام كلامه: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ حتى بلغ إلى قوله تعالى ﴿أنه هو العزيز الرحيم﴾ ثم شهق شهقة ثم سكت، فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشى عليه، ثم قال: يا هرم بن حيان مات أبوك وبشرك أن تموت يا ابن حيان فإما إلى الجنة وإما إلى النار، مات أبواك آدم وحواء ومات نوح، ومات إبراهيم خليل الرحمن يا ابن حيان ومات موسى كليم الرحمن، يا ابن حيان ومات داود خليفة الرحمن، يا ابن حيان، ومات محمد رسول الرحمن ﷺ، يا ابن حيان، ومات أبو بكر خليفة المسلمين، ومات أخى وصديقى وضيفى عمر بن الخطاب، ثم قال: واعمراه رحم الله عمر - وعمر يومئذٍ حى - قال هرم فقلت إن عمر لم يمت بعد قال قد نعاه إلى ربك إن كنت تفهم قد علمت ما قلت وأنا وأنت فى القرى (؟)، وكان قد صلى على النبى ﷺ ودعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتى: عليك يا ابن حيان بكتاب الله وبقايا الصالحين من المسلمين نعيت لك نفسى ونفسك فعليك بذكر الله وذكر الموت فلا يفارقان قلبك طرفة عين ما بقيت، وانصح لأهل ملتك جميعًا،

وإياك وأن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار، ثم قال: إلهى إن هذا يزعم أنه يحبنى فيك وزارنى من أجلك، اللهم عرفنى وجهه فى الجنة واحفظه فى الدنيا حيث ما كان وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له واجعله ما يعطيه من نعمتك من الشاكرين واجزه عنى خير الجزاء، استودعتك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله لا أراك بعد اليوم رحمك الله فإنى أكره الشهرة وأحب الوحدة ولا تطلبنى واعلم أنك منى على بال وإن لم أرك ولم ترنى فاذكرنى وادع لى فإنى سأذكر وأدعو لك إن شاء الله تعالى. وفارقنى يبكى وأبكى، فجعلت أنظر فى قفاه حتى دخل فى بعض الكلك فكم طلبته بعد ذلك وسألت عنه فما وجدت من يخبرنى خبره.

الربيع بن خيثم قال: أتيت أويس القرنى فوجدته جالسًا قد صلى الفجر فقلت لا أشغله عن التسبيح، فمكث مكانه، ثم قام إلى الصلاة حتى صلى الظهر، ثم قام إلى الصلاة حتى طلع العصر، ثم هكذا حتى صلى المغرب، فقلت فى نفسى لابد من أن يرجع ليفطر، فثبت مكانه حتى صلى العشاء الأخيرة، فقلت لعله يفطر بعد العشاء، فثبت مكانه حتى صلى الفجر ثم جلس فغلبته عيناه فانتبه وقال: اللهم إنى أعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا يشبع، فقلت حسبى ما عاينت ورجعت.

قتادة عن الحسن البصر قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل بشفاعة رجل من أمتى الجنة أكثر من ربيعة ومضر، أما أسمى لكم ذلك الرجل؟ قالوا بلى يا رسول الله قال ﷺ: ذلك أويس القرنى، ثم قال يا عمر إن أدركته فاقرئه منى السلام وقل له حتى يدعو لك واعلم أنه كان به وضح فدعا الله تعالى

فرفع عنه ثم دعـا الله فرد عليه بعضـه. فلما كان فى خلافة عـمر رضى الله عنه وهو بالموسم قال ليجلس كل رجل منكم إلا من كان من قرن فجلسوا إلا رجلا فدعاه وقـال له أتعرف فيكم رجلا اسمه أويس فقـال وما تريد منه فإنه رجل لا يعرف يأوى الخرابات ولا يخالط الناس، فقال اقرئه منى السلام وقال له حتى يلقانـى فأبلغه الرجل سالة عمـر رضى الله عنه فتقدم عليـه فقال له عمـر: أنت أويس؟ قال نعم: يا أميـر المؤمنين، فقال: صـدق الله ورسوله، هل كـان بك وضح فدعـوت الله فرفـعه عنك ثم دعـوته تعالى فـرد عليك بعضه؟ فقال: نعم، من خبرك به فوالله ما اطلع عليه غير الله؟ فقال أخبرانى رسـول الله ﷺ. وأمـرنى أن أسألك حـتى تدعـو لى، وقـال "يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومـضر" ثم سماك، قال فدعا لعمر ثم قال: حـاجتى إلـيك يا أميـر المؤمنين أن تكتمـها على وتأذن لى بالانـصراف ففعل، فلم يزل مستخفيًا من الناس حتى استشهد يوم نهاوند رحمه الله.

***

مجنون ليلى

هو من جملة من يذكر من المجانين أشهر، وحديثه أوضح وأسير، وأنه بلغ من شهرته أن جنونه غلب على اسمـه حتى أنه إن سمى أو عزى إلى أبيه لم يلبث بل يقال قال المجنون كذا وفعل كذا وفعل مجنون بنى عامر كذا حتى عابه كثير من الشعراء بالبوح ومدحوا أنفسهم بالكتمان.

قال أبو عبـيدة: هو مهدى بن الملوح بن مـزاحم بن قيس بن عدى ابن ربيعة بن جعـدة بن كعب. وقال يزيد بن عبد الأكبـر: هو قيس بن معاذ بن شامة بن نصير.

سئل مجنون بنى عامر: كيف كان سبب عشقك لليلى؟ بينا أنا فى عنفوان عزتى وريعان صباى أسحب ذيل اللعب وارمى الكواعب من كثب، أصبو إليهن فيفترقن، وأهزأ بهن فلا ينتصفن، إذا اعتقلنى حبائل فتاة من عذرة فذهلنى حبها، وتيمنى عشقها، وإذا جذبه جذبتنى. فمن أشعاره قوله:

ولم أر ليلى غير موقف ساعة بخيف منى ترمى جمار المحصب

وتبدى الحصى منها إذا قذفت به من البعد أطراف البنان المخضب

وأصبحت من ليلى الغداء كناظر من الصبح فى أعجاز نجم مغرب

إلا أنما غادرت يا بدر مالك صدا حيثما هبت به الريح يذهب

قيل لليلى: حبك للمجنون أكثر أم حبه لك؟ فقالت: بل حبى له. قيل فكيف؟ قالت لأن حبه لى كان مشهوراً وحبى له كان مستوراً.

قال ابن الكلبى: إن المجنون فى أول ما كلف بليلى قعد عندها يوماً يتحدث فرآها تعرض عنه وتقبل على غيره فشق ذلك عليه وعرفت ذلك فى نفسه فأقبلت عليه وقالت:

وكل مظهر للناس حبا وكل عند صاحبه مكين!

فخر مغشيًا عليه، ثم تمادى فى الغلو حتى ذهب عقله

قال محمد بن الكلبى: نزل المجنون برهط ليلى فجاء إلى امرأة كانت عارفة بأمرها، فشكى إليها ما يجده، فوعدته أن تجمع بينهما، فمضت وأخذتها وجمعت بينهما، فأنشأ يقول:

إذا قربت داراً كلفت وإن نأت أسفت فلا بالقرب أسلو ولا البعد

فإن وعدت زاد الهوى بانتظارها وإن بخلت بالوعد مت على الوعد

أقول: وتمام الأبيات:

بكل تداوينا ولم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد

قال الأصمعي: حدثت أن رهط قيس المجنون قالوا لأبيه اطلب لنا طبيبًا لعله يطلعنا على ما به، فأحضر إليهم طبيبًا، فعالجه فلما أعياه خلاه، فأنشأ قيس يقول:

ألا يا طبيب النفس أنت طبيبها فرفقا بنفس قد جفاها حبيبها

دعتنى دواعى الحب ليلى ودونها ذوى قوة قلبى الحزين قلوبها(؟)

فديتك من داع دعا ولو أننى حشاى من أحجار لظل يجيبها

وما هجرتك النفس من أجل أنها قلتك ولكن قل منها نصيبها

قال الأصمعى: إن رهط قيس قالوا لأبيه: لو خرجت به إلى الحج فتدعو الله لعله ينساها، فخرج به فينا هو يرمى الجمار نادى مناد من بعض تلك الخيام: يا ليلى، فخر قيس مغشيًا عليه، ثم أفاق وأنشأ يقول

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بقلبى طائرًا كان فى صدرى

إذا ذكرت يرتاح قلبى لذكرها كما انتفض العصفور من بلل

وهى قصيدة طويلة

قيل: حبس المجنون مع ليلى فى السجن فقيل له اخرج فقال لا أخرج لأن أكون مع الحبيب فى السجن خير من الفراق فأخرج فجاء الناس يعزونه فقال ارتجالا:

ليل الحبيب مع الحبيب نهار وكذاك أيام الوصال قصار

وقال أيضًا:

وسجنى مع المحبوب فردوس جنتى وناري مع المحبوب فى النار أنوار

وذكر أن سعيد بن الخاص (؟) كان صديقه فعاتبه يومًا فقال له فضحت نفسك وعشيرتك فقال:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

فلا تلحننى يا سعيد فإننى وحق إلهى هالك بقليل

قال كثير عزة: خرجت أريد قضاء حاجة لى فضللت الطريق فإذا أنا برجل قاعد فقلت أنسى أنت أم جنى؟ فقال بل أنسى، فقلت ما أقعدك ها هنا؟ فقال أن هنا صيادًا فأحببت أن أنظر إلى صيده، فأنخت راحلتى قريبًا منه، فبينا نحن نتحدث إذا اضطرب الحبل فقام وقمت فإذا بظبية كأحسن ما يكون من الظباء واسمنهن، فاستخرجها برفق، وجعل يقبل خديها وعينيها ثم أرسلها وهو يقول:

اذهبى فى كلاءة الرحمن أنت منى فى ذمة وأمان

فتهنى فالجيد منك لليلى والحشا والبغام والعينان

لا تخافى بأن تسامى بسوء ما تغنى الحمام فى الأغصان

قال كثير: فأعجبنى ما رأيت منه، فأقمت عنده، فلما كان من الغد غدا ونصب حبالته، فما لبث أن اضطرب الحبل، فقام وقمت فإذا ظبى كنحو ما كان بالأمس، ففعل به كما فعل بالآخر، فمضى غير بعيد ثم وقف ينظر إليه وأنشأ فقال:

أيا شبه ليلى لا تراعى فإننى لك اليوم من وحشية لصديق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها سوى أن عظم الساق منك دقيق

ثم لبثنا يومنا وليلتنا، فلما كان من الغد غدا وغدوت وصنع مثل صنيعه، فإذا نحن بظبية قد وقعت فى الحبالة، ففعل مثل ذلك فخلاها وأنشأ يقول:

تذكرنى ليلى من الوحش ظبية لها مقلتاها والمقلد والحشا
فينهل دمع العين يجرى لذكرها وأسفى عليك القلب بالدمع ما جرى

فقلت: لله أبوك، ما أعجب شانك فالتفت إلى ثم قال:

أتلحى محبا هائمًا أن رأى لمن أحب شبيها فى الحبالة موثقًا
فلما دنا منه تذكر شجوه وآنس مما قد رآه تشوقًا
وهيج منه حائل دون ذبحه فأرسله من أجل ليلى فاعتقا
ألا لا تلمه بل له اليوم حرقه من الوجد لا يزداد إلا تحرقًا

فوالله إنى لفى ذلك إذ أقبل راكب فقال: اللهم إنى أسألك خير ما عنده، فجاء حتى وقف فقال: اصبر يا قيس، قال عمن قال؟ عن ليلى فقام إلى بعيره، وقمت إلى بعيرى فشددنا عليهما ثم أقبلنا إلى الحى فقال أرشدونى إلى قبرها، فأشار له إلى قبر حديث عهد بطين، فأكب يقبله ويلتزمه ويشتم ترابه وأنشأ يقول:

أيا قبر ليلى لا شهدناك أعولت عليك نساء من فصيح ومن عجم
ويا قبر ليلى أن فى الصدر غصة مكان الشجى سدت مع الريق بالسلم

ثم شهق شهقة فمات، فدفنته أنا والراكب، وأنشأت أقول:

سأبكيكما ما عشت حيا وإن أمت فإنى قد لاقيت ما تجـــدان

قيل للمجنون: أتحب ليلى. قال لا، قيل ولم؟ قال لأن المحبة ذريعة للرؤية فقد سقطت الذذريعة فليلى أنا وأنا ليلى.

أنشد محمد بن المنذر للمجنون:

تذكـرت ليلى والفـؤاد عـمـيـد وشطـت نواها والمـزار بعـيـد

يبـيـد الهوى مـن صدر كل مـتـيم وحـبى لـليلى مـا حـيـيت جـديد

قال الأصمعى: لم يكن المجنون مجنونًا ولكن كانت فيه لوثة كاوثة أبى حية النميرى، وهو من أشعر الناس، ومن جيد شعره:

أما والذي أبكـى وأضحك والذى أمـات وأحـيـا والذى أمـره الأمـر

لقد تركتنى أحسد الوحش أن أرى أليـفين مـنها لا يروعـهـما الزجـر

فـيـا حـبـهـا زدنى جـوى كل ليلة ويا سلوة الأيام مـوعـدك الحـشـر

ويا هجـر ليلى قـد بلغت بى المدى وزدت على مـا لم يكن صنع الهجـر

عـجبت لسـعى الدهر بينى وبينهـا فلمـا انقـضى ما بيـننا سكن الدهر

وأنشد الجعد بن عقبة الجرمى لمجنون بنى عامر:

دعـوت إله الناس عـشرين حجـة نهـارًا ولـيـلا فى الجـمـيع وخـاليـا

لكـى تبـتلى ليـلى بمثل بـليـتى فـتـعـلم حـالى أو ترق لمـا بيـا

فلم يستجب لى الله فـيها ولم يفق هواى ولـكن زيـد حب برانـيـا

فـيـارب حـبنى إلـيـهـا أو اشـفنى بهـا أو أرح مما يقـاسى فـؤاديا

ومن شعره أنشد ابن الأعرابى:

يقـــولون عـن ليلـى غنيـت وإنما ... بى الياس عن ليلى وليس بى الصـبر
فـيـا حـبـذا ليلـى إذ الدهر صـالح ... وسـقيـا لليلى بعد مـا فسـد الدهر
فـــــإنى لأهـواهـا وإنى لآيـس ... هوى وإياس كيف ضمهما الصدر

وله أيضًا:

أمـــر مـــجـــانبًـــا عن دار ليـلى ... ألـم بهـــــا وفى قـلبـى غـليـل
وقلبى عند ســاكنهـــا فـهل لى ... إلى قلبى وســاكـنهـا ســبـــيل
فلـو أن الطـلول أجبن صـــبـــا ... لرحـــمـتـه أجـــابتنى الـطلول

وله أيضًا:

وجـاءوا إليـــه بالتـعـــاويذ والرقى ... وصـبـوا عليـه الماء من ألم النكس
وقـــالوا بـه من أعـــين الجـن لحظة ... ولو عـقلوا قـالـوا به أعـين الإنس

وله أيضًا:

أيا شـــبـه ليلى إن لـيلى مـريـضـة ... وأنت صـــحـــيح إن ذا لمحـــال
أقـــول لظبى مـــر بى فى مـــفـــازة ... لأنت أخـــو ليـلى فـقـــال يقـــال
وإن لم تكن لـيلى غـزالا بعـينهـا ... فـقـد أشـبـهـتـهـا ظبـيـة وغـزال

ومن مشهور شعره:

ذكـرتك والحـــجـيج له ضـــجـيج ... بيـكة والقـلوب لهـــا وجـــيب
فـــقـلت ونحـن فى بلـد حـــرام ... بـه لـلـه أخـلـصـت الـقـلـوب

أتوب إليك يا رحمن أنى أسأت وقد تضاعفت الذنوب
وأما من هوى ليلى وحبى زيارتها فإنى لا أتوب

***

سعدون المجنون

قال عطاء السلمى احتبس عنا القطر بالبصرة فخرجنا نستسقى فإذا بسعدون[1] المجنون فلما أبصرنى قال يا عطاء إلى أين؟ قلت خرجنا نستسقى فقال بقلوب سماوية أم بقلوب خاوية؟ قلت بقلوب سماوية، فقال لا تبهرج فإن الناقد بصير، قلت ما هو إلا ما حكيت لك فاستق لنا، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: أقسمت عليك ألا سقيتنا الغيث، ثم أنشأ يقول:

أيا من كلما نودى أجابا ومن بجلاله ينشى السحابا
ويا من كلم الصديق موسى كلامًا ثم ألهمه الصوابا
ويا من رد يوسف بعد ضر على من كان ينتحب انتحابا
ويا من خص أحمد باصطفاء وأعطاه الرسالة والكتابا

إسقنا. قال: فأرخت السماء شآبيب كأفواه القرب. فقلت زدنى، قال ليس ذا الكيل من ذاك البدر، ثم قال:

سبحان من لم نزل له حجج قامت على خلقه بمعرفته
قد علموا أنه مليكهم يعجز وصف الأنام عن صفته

(١) كانت وفاة سعدون سنة ١٩٠ هـ وترجمه ابن الجوزى فقال: كان سعدون من عقلاء المجانين وحكمائهم وله أخبار ملاح وكلام سديد ونظم ونثر يستحسن. طوف فى البلاد ودونت أخباره. ا هـ.

قال عطاء رايت سعدون يتفلى ذات يوم فى الشمس فانكشفت عورته فقلت له استرها أخا الجهل فقال أمالك مثلها؟ واستتر، ثم مر بى يومًا وأنا آكل رمانًا فى السوق ففرك أذنى وقال من الجاهل أنا أم أنت؟ ثم قال:

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ... ويعمى عن العيب الذى هو فيه
وما خير من تخفى عليه عيوبه ... ويبدو له العيب الذى لأخيه
وكيف أرى عيبا وعيبى ظاهر ... وما يعرف السوآت غير سفيه

قال عبد الله بن سويد: رأيت سعدون المجنون وبيده فحمة وهو يكتب بها على جدار قصر خراب

يا خاطب الدنيا إلى نفسه ... إن لها فى كل يوم خليل
ما أقبح الدنيا لخطابها ... تقتلهم عمدًا قتيلا قتيل
تستنكح البعل وقد وطئت ... فى موضع آخر منه البديل
أنعم فى عيشى وأيدى البلا ... تعمل فى نفسى قليلا قليل
تزودوا للموت زادًا فقد ... نادى مناديه الرحيل الرحيل!

وقال خالد بن منصور القشيرى قدم علينا سعدون المجنون فسمعته ليلة من الليالى يقول فى دعائه: لك خشعت قلوب العارفين وإليك طمحت آمال الزاجيين، ثم أنشأ يقول:

وكن لربك ذا حب لتخدمه ... إن المحبين للأحباب خدام

قال إسماعيل بن عطاء العطار: مررت بسعدون فلم أسلم عليه، فنظر إلى ثم قال:

يا ذا الذى تـرك السـلام تـعـمـدًا ليس السـلام بضـائر من سلمـا
إن السـلام تحـيـة مـبـرورة ليـست تحـمل قـائلا أن يـأثما

قال ثابت بن عبد الله أنشدنى سعدون المجنون أبياتًا فى الوصف:

تفـهـم يا أخى وصف الملاح وقـد ركبـوا النجائب فى الوشاح
من الحـور الحـسـان منـعـمـات تفـوق وجـوهها ضـوء الصبـاح
براهن المـهـيـمن من عـبـيـر وشـرفـهن حـقـا بالـفـلاح
وصـدغ فـوق سـالفـة بمسك كـمـشق النـون فى رق مـبـاح
إذا خطـرت تحـيـر كل حـسـن وإن مـرحت هل حـبى بصـاح
تقـول إذا أتت نـحـو العـذارى ألا يا خـود هل حـبى بـصـاح
فـقـد نغـصن لذاتى جـمـيـعًـا واعـدمـنى هواها شـرب راحى

قال الفـتح بن سالم كان سـعمدون سيـاحيا لهجًـا بالقول فرأيتـه يومًا بالفسطاط قائمًا على حلقـة ذى النون وهو يقول يا ذا النون متى يكون القلب أميرًا بعد أن كان أسيرًا فقال ذو النون:

إذا اطلع الخبير على الضمير ولم ير فى الضمير سوى الخبير

قال فصرخ سعدون وخر مغشيًا عليه، ثم أفاق فقال:

ولا خير فى شكوى إلى غير مشتكى ولابد من شكوى إذا لم يكن صبر

ثم قال أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال يا أبا الفيض إن من القلوب قلوبًا تستغفر الله قبل أن تذيب قال نعم نبأت قبل أن تطيع أولئك قوم أشرقت قلوبهـم بضياء روح اليقين، ثم قـال: أوحى الله تعالى إلى نبى

من الأنبياء كن لى بكليتك أكن لك وقل للمطيعين إن لم تطيعونى فلا تقربوا منى.

وكان ابن أبى أوفى يقول قعدنا فى جزيرة من الجزائر نتشارب المز وفينا شيخ يغنى ويقول:

أما النبيذ فلا يذعرك شاربه واحفظ ثيابك ممن شربه الماء

وإذا رجل يهتف: كذبت يا شيخ:

أما النبيذ فقد يذرى بصاحبه ولا أرى شاربًا يذرى به الماء

فالتفتنا فإذا سعدون المجنون

قال عطاء التيمى: كنت أبنى فأشرفت من بعض الجدران فإذا سعدون يكتب بقطعة فحم على جدار

ما حال من سكن الثرى من جاله أمسى وقد رثت هناك حباله

أمسى ولا روح الحياة يصيبه أبدًا ولا لطف الحبيب يناله

أمسى وقد درست محاسن وجهه وتفرقت فى قبره أوصاله

واستبدلت منه المحاسن غبرة وتقسمت من بعده أمواله

ما زالت الأيام تلعب بالفتى والمال يذهب صفوه وجلاله

قال ذو النون المصرى رأيت سعدون فى مقابر البصرة وهو يناجى ربه ويقول بصوت عال "أحد أحد" فسلمت عليه فرد على، فقلت بحق من تناجيه إلا وقفت، فوقف، ثم قال: قلت أوصنى بوصية أحفظها عنك أو تدعو بدعوة فأنشأ يقول:

يـا طالـب الـعـلم مـن هـنـا وهنـا ومـــعـــدن العـلم بين جـنـبـيـكا
إن كنت تبـــغى الجنـان تسكنـهـا فـاســبـل الدمع فـوق خـــديكا
وقم إذا قـــام كل مـجـتـــهـــد وادعـــه كى يـقـــول لبـــيكا

ثم مضى وهو يقول: يا غياث المستغيثين، فقلت له ارفق بنفسك فلعله ينظر إليك برحمته فنزع يده من يدى، وهو يقول:

ســلام على طـيب المقـام ســلام فليس لعـين المســتـهـــام منام
ولو ترك الأغـمـاض يـومًـا لجـفنه لأيـقظـه مـا يـجن ضـــــرام!

ثم مضى وتركنى.

قال رباح القيسى: سمعت مالك بن دينار يقول أصاب الناس بالبصرة قحط شديد، فخرجنا نستسقى فإذا أنا بسعدون فى بعض الخرابات فقلت له بالذى خلقك استسقى لنا، فرفع رأسه إلى السماء، وقال "يا فاطر الأشباح والأرواح ومنشئ السحاب والرياح وفالق الأصباح بحق ما جرى البارحة أن ترحم عبادك وبلادك ولا تهلك بلادك بذنوب عبادك" قال فما استتم كلامه حتى أرخت السماء غرابيلها وجادت بوابلها فخرج يخوض الماء وهو يقول:

قل لـدنيـــاك ابـعـــدى وتـولى إن تـريـنى فـــــإننـى لا أراك
وصلـى أو املكـى وداد ســـوائى إننـى مـــغـــرم بحب ســـواك
إن تكونى أســرت بالذنب قـومًـا فـاذهـبى أنت لست مـن أسـراك

قال محمد بن الصباح خرجنا بالبصرة نستسقى فلما أصرحنا إذا بسعدون يفلى جيبه صوف له، فلما رآنا قام وقال إلى أين؟ قلنا نستسقى المطر، فقال بقلوب سماوية أم بقلوب خالية فقلنا بقلوب سماوية فقال اجلسوا

ها هنا فجلسنا حتى ارتفع النهار والسماء لا تزداد إلا صحواً فقال يا بطالين لو كانت قلوبكم سماوية لسقيتم ثم توضأ وصلى ركعتين ولحظ السماء بطرفه وتكلم بكلام لم نسمعه فما استتم كلامه حتى أرعدت وأبرقت وأمطرت مطراً جواداً فسألناه عن الكلام الذى تكلم به فقال إليكم عنى إنما هى قلوب حنت فرنت فعاينت فعلمت فعملت وعلى ربها توكلت، وأنشأ يقول:

أعرض عن الفخر والتمادى ... وارحل إلى سيد جواد

ما العيش إلا جوار قوم ... قد شربوا صافى الوداد

قال: ورأيت مكتوبًا على جبته:

يا ذنوبى عليك طال بكائى ... صرت لى مأثما فقل عزائى

فى كتابى عجائب مثبتات ... ليتنى ما لقيتها فى بقائى

نظر العين قادنى للخطايا ... إذ أذنت اللحوظ للأهواء

تاليا للقرآن يتلو المعاصى ... اسمه فى السماء عبد مرائى!

قال ذو النون المصرى: خرجت بكرة إلى مقابر عبد الله بن مالك فإذا أنا بشخص مقنع كلما رأى قبراً منخسفًا وقف عليه فقصدته، فإذا هو سعدون. فقلت سعدون، فقال سعدون فقلت ما تصنع ها هنا؟ فقال إنما يسأل عما أصنع من أنكر ما أصنع وأما من عرف ما أصنع فما معنى سؤاله؟ فقلت يا سعدون تعالى نبكى على هذه الأبدان قبل أن تبلى، فتاؤه ثم قال البكاء على القدوم على الله أولى بنا من البكاء على الأبدان، فإن يكن عندها شر أبلاها فى القبور فسوف يبعثها ربها للعرض والنشور. يا ذا النون أنك إن تدخل النار فلا ينفعك دخول غيرك الجنة وإن تدخل الجنة لا يضرك دخول

غيرك النار، ثم قال يا ذا النون وإذا الصحف نشرت، ثم صاح واغوثاه ماذا يقابلنى فى الصحف. قال فغشى علىى فلما أفقت إذا هو يمسح وجهى بكمه ويقول يا ذا النون من أشرف منك إن مت مكانك هذا.

قال محمد بن الصباح قرأت على قميص سعدون:

عينى أبكى على قبل انطلاقى بدموع منها تسيل المآقى

واندبى مصرعى فقد مضى الشوق ونوحى على قبل الفراق

قال مالك بن دينار دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون فقلت له كيف حالك وكيف أنت فقال يا مالك كيف يكون حال من أمسى وأصبح يريد سفراً بعيداً بلا أهمية ولا زاد ويقدم على رب عدل، ثم بكى بكاء شديداً، قلت ما يبكيك، قال والله ما أبكى حرصًا على الدنيا ولا جزعًا من الموت لكنى بكيت ليوم مضى من عمرى لم يحسن فيه عملى، أبكانى والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكؤود ولا أدرى بعد ذلك أصير إلى الجنة أو إلى النار، فسمعت منه كلام حكيم، فقلت له إن الناس يزعمون أنك مجنون. فقال وأنت قد اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا زعم الناس أننى مجنون وما بى جنة ولكن حب مولاى قد خالط قلبى وأحشائى وحرى بين لحمى ودمى وعظمى فانا والله من حبه هائم مشغوف، قلت فلم لا تجالس الناس وتخالطهم؟ فأنشد الأبيات المشهورة:

خذ الناس جانبًا كى يظنوك راهبًا

وأنشد أيضًا:

ولو لم يكن شيئًا سوى الموت والبلى وتفريق أعضاء ولحم مبدد

لكنت حقيقًا يا ابن آدم بالبكا على نائبات الدهر مع كل مسعد

قال عبد الله بن خالد الطوسى: لما خرج هارون الرشيد إلى مكة فرش له من جون العراق إلى مكة لبد مرعزى وكان حلف على أن يحج راجلا فاستند يومًا إلى ميل[1] وقد تعب، فإذا سعدون قد عارضه وهو يقول:

هب الدنيا تواتيكا أليس الموت يأتيكا؟

فما تصنع بالدنيا وظل الميل يكفيكا

ألا يا طالب الدنيا دع الدنيا لشانيكا

فما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيكا

فشهق الرشيد شهقة فخر مغشيا عليه ثم أفاق بعد أن فاته ثلاث صلوات قال ذو النون بينا أنا فى أزقة مصر إذا أنا بسعدون المجنون وعليه جبة صوف جديدة مكتوب عليها خطوط قد أدخل رأسه فيها، فسلمت عليه فرد السلام، فقلت: قف يا أبا سعيد حتى أنظر ما على جبتك، فوقف، فقرأت على كمه الأيمن سطرين.

عصيت مولاك يا سعيد

ما هكذا تفعل العبيد

وعلى كمه الأيسر سطرين:

تبا لمن قوته رغيف يأتى به السيد اللطيف

يعصى إلهًا له جلال وهو به راحم رءوف

---

(١) الميل: منار يبنى للمسافر.

ومن خلفه سطران:

كل يوم يمر بأخذ بعضى ... يذهب الأطيبان منه يمضى

نفس كفى عن المعاصى وتوبى ... ما المعاصى على العباد بفرض

ومن بين يديه سطران:

أيها الشامخ الذى لا يرام ... نحن من طيبة عليك السلام

إنما هذه الحياة متاع ... ومع الموت يستوى الأقدام

وعلى عكازه مكتوب:

اعمل وأنت من الدنيا على وجل ... واعلم بأنك بعد الموت مبعوث

واعلم بأنك ما قدمت من عمل ... محصى عليك وما خلفت موروث

قال: فقلت له أنت حكيم ولست بمجنون، قال أنا مجنون الجوارح ولست بمجنون القلب ثم ولى هاربًا!

قال ذو النون: بينا أنا أطوف ذات ليلة حول البيت وقد هدأت العيون إذا أنا بشخص قد حاذانى وهو يقول: رب عبدك المسكين الطريد الشريد من بين خلقك، أسألك من الأمور أقربها إليك وأسألك باصفيائك الكرام من الأنبياء إلا سقيتنى كأس محبتك وكشفت عن قلبى أغطية الجهل حتى أرقى يا جنحة الشوق إليك فأنا جيك فى أركان الحق بين رياض بهائك، ثم بكى، ثم ضحك وانصرف، فتبعته حتى خرج من المسجد فأخذ خرابات مكة فالتفت إلى وقال: مالك أرجع أمالك شغل؟ قلت ما اسمك رحمك الله، قال عبد الله، قلت ابن من أنت؟ قال ابن عبد الله، قلت قد علمت أن الخلق كلهم عبيد الله وبنو عبيد الله فما اسمك؟ قال أسمائى أبى سعدون، قلت المعروف

بالمجنون؟ قال نعم، قلت فمن القوم الذين سألت الله بهم؟ قال أولئك قوم ساروا إلى الله سير من قد نصب المحبة عينيه وتخوف من أخذت الزبانية بقلبه ثم التفت إلى قفال ذا النون! قلت نعم، قال يا ذا النون بلغنى أنك تقول فقل لى شيئًا اسمع فى أسباب المعرفة، فقلت أنت الذى يقتبس من علمك، فقال حق السائل الجواب ثم أنشأ يقول:

قلوب العارفين نحن حتى ... نحل بقربه فى كل راح

صفت فى ود مولاها فما أن ... لها من وده أبدًا براح(؟)

قال موسى بن يحيى كان سعدون إذا اشتد به الجوع يرمى بطرفه إلى السماء ويقول:

أتتركنى وقد آليت حلفًا ... بأنك لا تضيع من خلقتا

وإنك ضامن للرزق حتى ... تؤدى ما ضمنت وما قسمتا

وإنى واثق بك يا إلهى ... ولكن القلوب كما علمتا

قال عيسى بن على رأيت سعدون ذات يوم، والصبيان يؤذونه، فطردت عنه الصبيان فقال بعض الصبيان هو يزعم أنه يرى ربه، فقلت له ما تسمع ما يقول الصبيان، قال وما هو، قلت يقولون أنك ترى الله عز وجل، فقال يا أخى مذ عرفت الله ما فقدته، ثم أنشأ يقول:

زعم الناس أننى مجنون ... كيف أسلو ولى فؤاد مصون

علق القلب بالبكا فى الدياجى ... وهو بالله مغرم محزون

قال وقرأت على فروة له:

نغص الموت ريحه كل طيب ودهانى بفقد كل حبيب
ولكم إذ رأيت من حدث السن غزيراً كغصن بان رطيب
حس بالموت فأثنى بانكسارِ واضعًا خده بذل عجيب
قائلا إخوتى سلام عليكم آذنت شمس مدتى بالمغيب

قال مالك بن دينار كنت حاجا فغلبتنى عيناى فرقدت عند الكعبة فوقف سعدون على رأسى، فقال:

يا أيها الراقد كم ترقد قم يا حبيبى قددنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته فازدد إذا ما سجد السجد

كتب سعدون المجنون إلى جعفر المتوكل:

"يا أخى، أما بعد، فإنك قد طعمت بالحياة ونسيت تراصف الأقدام وتطاير الصحف فى الشمائل والإيمان، فاذكر حسراتك عند انكشاف الغطاء واقرأ ﴿فلا أنساب يومئذٍ بينهم ولا يتساءلون﴾

عطية بن إسماعيل الموكل على زمام المأمون قال كتب سعدون إلى المأمون وقد بنى قصراً:

يا من بنى القصر فى الدنيا وشيده أسست قصرك حيث السيل والغرق
لو كنت تغنى بذخر أنت ذاخره أسسته حيث لا سوس ولا حرق
والموت مصطبح منكم ومغتبق فاحتل لنفسك قبل الورد يا حمق
واذكر ثمودًا وعادًا أين أنفسهم فلو بقى أحد من بعدهم لبقوا

ثم كتب عنوان الكتاب ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾

عطاء بن سعيد قال كتب سعدون إلى والينا وكان قد آذنا:

"أما بعد. يا هذا فإنك إن لم تستح من نفسك فاستحى من ربك يا يغرك بسطه عليك فإنه إن غافصك أهلكت وهتكك" ثم كتب عنوانه ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾

عبد الله بن سهل قال كتب سعدون إلى بعض الخلفاء

"أما بعد فإن الله أخذ على السموات والأرض والجبال عهدًا فأودعه أياهن فأما السموات فتناثر أنجمها وانطمس شمسها واضمحل قمرها وتراصدت أقدام سكانها وارتعدت أكنافها، وأما الأرض فانزوى أطرافها وأكدودر ماؤها وتناثر أوراق شجرها وأغصانها وثمارها، وأما الجبال فتجلمد شوامخها وسالت أوديتها ارتعادًا وانتفاضًا من شدة الأمانة التى كلفتها، وأنت فى ضعف حايتك ولادة أطرك وعجزك مذ كلفت الأمانة فما تحرك عليك عضو ولا يذعر منك مفصل قد ركبت مجانب مخادعك وجعلت الدنيا نزهة بطالتك فانتبه من رقدة الوسن قبل أن يكشفك الحزن والسلام".

قال عبد الصمد بن إسرائيل كتب سعدون إلى بعض إخوانه

"أما بعد يا أخى جعلنا الله وإياك من الذين غاصوا فى بحار الشوق فاستخرجوا صدف اللطف فسقط عنهم الأذى والأسف" ثم كتب عنوانه "من بعث راح ومن راح استراح".

قال نصر بن خالد كتب سعدون إلى بعض إخوانه:

"أما بعد يا أخى جعل الله قلبك سماويًا معلقًا بجلال مودته حتى تنصب إليك ينابيع الدلائل فتسمو إليه بمواريث الطاعة" ثم كتب عنوانه "ميراث صفاء القلوب ودوام الشيع يميت القلوب".

وديعة الواسطى قال كتب سعدون إلى بعض إخوانه

"أما بعد فارحل قبل أن يرحل بك وتزود قبل المسير إلى ربك فإنك تريد قطع مفاوز لا يقطعها البطالون، قطع الله عنك الطمع وجعلك ممن وصف فى كتابه لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بخرجين".

سعيد بن أبى عبيد الله الآجرى قال كتب سعدون إلى بعض إخوانه

"أما بعد فقد بلغنى أنك تركت الآخرة وأقبلت على الدنيا، وإذا كان العبد من الله على كفاية ومال إلى الدنيا سلبه الله جل جلاله حلاوة الطاعة عنه فيظل حيران فيقبل بعد ذلك عليه فيقول عبدى ارجع إلى ما كنت عليه".

إسماعيل بن عبد الله قال كتب سعدون إلى بعض إخوانه

"أما بعد من استعمل معول الفهم قوى على حفر خنادق الكد ومن أتى جب جب المعرفة استسقى بدلو الجد ومن نظر فى مرآة الفكر سقطت عنه لذة الكرى" ثم أنشأ:

ومن الناس من يعيش شقيًا ... جاهل القلب غافل اليقظه

فإذا كان ذا وفاء ورأى ... حفظ الوقت واتقى الحفظه

إنما الناس راحل ومقيم ... فالذى بان للمقيم عظه

عبد الله بن سهل قال كتب سعدون إلى بعض إخوانه "أما بعد يا أخى فإنه من تعرض لعقوبة الله هوى وشقى ومن تعرض لرضاء الله كفى ووقى فاجعل حظك من دنياك الاشتغال بطاعة مولاك والسلام".

قال وكتب بهذا الشعر إلى بعض إخوانه:

نحب الصالحين بزعم قلبك وتخلو أن فقدتهم بذنبك

فمن حب الخليل تفر منه وهذا كله من كذب حبك

ستندم حين لا ندم بمجد وتعلم ما يحل غداً بجنبك

قال مالك بن دينار مات بعض قراء البصرة، فخرجنا فى جنازته، فلما انصرفنا من دفنه صعد سعدون تلا ونادى:

ألا يا عسكر الأحياء هذا عسكر الموتى

أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظرو الكبرى

يقولون لكم جدوا فهذا غاية الدنيا

سلمة بن عقيل قال كتب سعدون إلى بعض إخوانه:

"جعلنا الله وإياك من الذين أدبوا أنفسهم بدرة الجوع وردموا خندق الأحزان وجاوزوا عقاب الشدائد وقطعوا جسر الأهوال" ثم كتب عنوانه "ومن يتوكل على الله فهو حسبه".

إبراهيم بن سعيد النجيبى قال: كتب المتوكل إلى عامله بالبصرة أن قبلك رجلا أديبًا ظريفًا ذا حكمة فوجه به إلى على أحسن صفة غير مروع. فحمله إليه فلما ورد الباب قال له الحاجب سلم على الخليفة سلامك على الخلفاء، فدخل، ثم سلم عليه وقال: أنت المتوكل؟ قال نعم، قال فلم سميت بالمتوكل ولم تسم بالمتواضع؟ ثم قال:

"السلام عليك يا من استوى على سرة الغنى وتقمص بقميص الخيانة متبعًا للهوى، كأنى بك وقد أتاك فظ غليظ فجذبك عن سرير بهائك وأخرجك عن مقاصير علائك، فلم يستأذن عليك حاجبًا ولا قهرمانًا حتى

أخرجك إلى ضيق اللحد وفرقا الأهل والولد، فلو نظرت فى صحيفة بطالتك، يا من احتوى على أموال الضعفة بظلمه، غداً تبكى سرائرك بين يدى من لا تخفى عليه السرائر فتحمل على دقيق المسألة جوابًا وعلى الصراط جوازًا فستعلم وتستقرى، كل ما قد أحصى عليك بالتحقيق".

قال: فغاظه ذلك، فأمر بحبسه، فلما كان فى اليوم الثانى أمر بإخراجه، فلما وقف بين يديه قال: بلغنى أنك قدرى تقايس فى العظمة وتداخل فى التكوين، فقال: يا متوكل يا من له عقل موجود وفهم غير مفقود أن مثلى لا يتكلم فى القدر قال فنظر إليه مغضبًا ورده إلى السجن.

فلما كان فى اليوم الثالث أخرجه، فوقف بين يديه وقال: يا سعدون إنك ثنوى تقول السماء خالية بلا مدبر. فقال له: يا متوكل اسألك عن شىء تخبرنى به؟ قال: نعم، قال: من جعل سطح الهامة منبت الشعر وسقاها من حرارة الدماغ؟ قال: الله، قال: أخبرنى من مد حاجبيك فأنبت عليهما الشعر؟ قال: الله تعالى، قال: فأخبرنى من فتق العينين وجعل للحدقة بياضًا وجعل وسطها سوادًا؟ قال: الله، فمن جعل فيهما ماء عذبًا وملحًا؟ قال الله، قال: ومن جعل العذب فى البياض والملح فى السواد؟ قال الله، قال: فأخبرنى من خرق السمعين فجعل فيهما سماعًا قال الله، قال: فمن ألزم القدم من الساقين فجعلهما إسطوانة للركبتين؟ قال الله، قال فمن شد الحقوين بالوركين؟ قال، الله قال: فمن عرفك أن تقول الله؟ قال الله، قال: فكيف أقول السماء بلا آلة؟ قال المتوكل: بلغنى أنك تقول القرآن مخلوق، قال يا متوكل ارض عن الله وثق بالله وكل شىء بقضاء الله ما يبلغ الفطنة كنه الله ولا يفوت الخلق رزق الله، الله لا يشبه خلق الله، القبض والبسط

فعـال الله، والجود والفـخر أيادى الله، يا أيهـا القائل بالله بالحـق والصدق عرفت الله، فـلا تكن مبتـدعًا فى الله، ارض بدين الله، عـبد الله لا شىء أحلى من كلام الله، يكون مخلوقًا كلام الله يقولها؟ مبتدع والله!

قال: فـأمر به إلى الجـبس ثم اتخذ مقـصورة وأمر بـفرش الزرابى من الحرير الأخضر والخرز والديباج ثم دعا به، فلما نظر إليه ضحك، ثم قال: يا متـوكل هذا ملكك الدنى، الحقير الفـانى، فقال المتـوكل بلغنى أنك حرورى تطعن فى السلطان، فقال إنى لست كذلك ولكنى أصف لك مرجًا أحسن من مرجك وقـصرًا أحسن من قـصرك، قال هات، قـال فى الجنة مرج من ورق الآس فى وسط المرج قصـر من در روشقائق وفى وسط القصـر قبة من ورق السوسن والقصر مبنيان على نبات الـقرنفل لها حدود أربعة الحد الأول ينتهى إلى ناحية الوجلين والحد الثانى ينتهى إلى نعـيم المشتاقين والحد الثالث ينتهى إلى طريق المرريديـن والحد الرابـع ينتـهى إلى غـرف مملوءة بتـحف وصنائع ووصائف ورفارف وإلى خيام وخدام وإلى مـيدان يطوف فى ساحته الولدان، أرضها من الفضة ورمالها من اللؤلؤ وقضبـانها من العنبر وشرفها من الياقوت الأحمر، العرش سقـفها والرحمة حشوها والأنبيـاء سكانها والملائكة عمارها والولدان خدامها، الزغفران حشيـشها والقرنفل نباتها والسندس ثيابها، مطردة أنهارها دائمة ظلالها دانية قطوفها مطهرة أزواجهـا خضر رياضها لذيذ عيشها ذكى مسكها وكافورها، دار العيش والنعـيم المقيم، فساكن هذه الدار فى نعيم لا يزول، لأغل فى صدور سكانهـا، قد رفعت عنهم الأسـقام وزالت الآلام وصاحب هذه الدار أبدًا معانق الأبكار فى مرافقة الأخيار وجوار الملك الجبار

ثم قام يخطر فى مشيته ويقول:

قـــبـــة مـن جـــواهـر الخـ ـــلـد بالـدر رصـــــــعـت
جـــوف قـــصـــر من الـزبر جـــــد بالـنور وشـــــعـت
مـــــذ بـناهـا الجـلـيل فـى داره مـــــا تـزعـــــزعـت
لو عـلـيـــهـــا تســـاقـطت أرضـــهـا مـــا تصـــدعت
حـجـبت كـاعـب الحـسـ ـور فـــيـــهـــا فـــأبـدعت
عـجب الحـسـن والجـمـا ل إذا مـــــــا تـطـلـعـت
منـع الحب بـالحـــبـــيب كـــمـــا قـــد تمنعت

قال المتـوكل أحسنت بارك الله فيك، من زعم أنك مـجنون؟ ثم أمر له بجائزة، فـردها وقال حسـبى الله الذى جعل خزائن عطائه مـفتوحـة لمؤمليه وحسبى من جعل مفاتيحها حجة الطمع فيه.

***

بهلول المجنون

قال محمد بن إسماعيل بن أبى فديك سمعت بهلولا[1] فى بعض المقابر وقد دلى رجله فى قبر وهو يلعب فى التراب فقلت له ما تصنع ها هنا؟ فقال أجالس أقوامًا لا يؤذوننى وإن غبت عنهم لا يغتابوننى، فقلت قد غلا السعر فهلا تدعو الله فيكشف، فقال والله لا أبالى ولو بدينار، إن الله تعالى أخذ علينا أن نعبده كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعدنا، ثم صفق بيديه وأنشأ يقول:

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ... ولا تنام عن اللذات عيناه

شغلت نفسك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه

على بن ربيعة الكندرى قال: خرج الرشيد إلى الحج فلما كان بظاهر الكوفة إذ بصر بهلولا المجنون على قصبة وخلفه الصبيان وهو يعدو فقال من هذا، قالوا بهلول المجنون، قال كنت أشتهى أن أراه فادعوه من غير ترويع، فقالوا له أجب أمير المؤمنين، فعدا على قصبته، فقال الرشيد السلام عليك يا بهلول، فقال وعليك السلام يا أمير المؤمنين، قال كنت إليك بالأشواق، قال لكنى لم أشتق إليك، قال عظنى يا بهلول، قال ويم أعظك هذه قصورهم وهذه قبورهم، قال زدنى فقد أحسنت، قال يا أمير المؤمنين "من رزقه الله مالا وجمالا فعف فى جماله وواسى فى ماله كتب فى ديوان الأبرار" فظن

---

(١) بهلول: هو أبو وهيب بهلول بن عمر الصيرفى المجنون من أهل الكوفة كان من عقلاء المجانين وله كلام مليح ونوادر وأشعار توفى سنة ١٩٠ هـ.

الرشيد أنه يريد شيئًا فقال قد أمرنا لك أن تقضى دينك، فقال لا أمير المؤمنين لا يقضى الدين بدين أردد الحق على أهله واقض دين نفسك من نفسك، قال فأنا قد أمرنا أن يجرى عليك، فقال أمير المؤمنين أترى الله يعطيك وينسانى؟ ثم ولى هاربًا

وروى بإسناد آخر أنه قال للرشيد يا أمير المؤمنين فكيف لو أقامك الله بين يديه فسألك عن النقير والفتيل والقطمير، قال فخنقته العبرة فقال الحاجب حسبك يا بهلول قد أوجعت أمير المؤمنين، فقال الرشيد دعه، فقال بهلول إنما أفسده أنت وأضرابك، فقال الرشيد أريد أن أصلك بصلة فقال بهلول ردها على من أخذت منه، فقال الرشيد فحاجه، قال إن لا ترانى ولا أراك، ثم قال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله الكلابى قال رأيت رسول الله ﷺ يرمى جمرة العقبة على ناقة له صهباء لأضرب ولا طرد، ثم ولى بقصبته وأنشأ يقول

فعدك قد ملأت الأرض طرا ودان لك العباد فكان ماذا

الست تموت فى قبر ويحوى تراثك بعد هذا ثم هذا

عبد الرحمن الأسلمي قال قال أبى لبهلول أى شيء أولى بك؟ قال العمل الصالح.

بعض الكوفيين قال: حج الرشيد فذكر بهلولا حين دخل الكوفة فأمر بإحضاره وقال ألبسوه سوادًا وضعوا على رأسه قلنسوة طويلة وأوقفوه فى مكان كذا ففعلوا به ذلك وقالوا إذا جاء أمير المؤمنين فادع له، فلما حاذاه الرشيد رفع رأسه إليه وقال يا أمير المؤمنين اسأل الله أن يرزقك ويوسع عليك من فضله، فضحك الرشيد وقال آمين، فلما جازه الرشيد دفعه صاحب

الكوفة فى قفاه وقال أهكذا تدعو لأمير المؤمنين يا مجنون، قال بهلول اسكت ويلك يا مجنون فما فى الدنيا أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم، فبلغ ذلك الرشيد فضحك وقال والله ما كذب.

قال الحسن بن سهل بن منصور سمعت بهلولاً وقد رماه الصبيان بالحصى وقد أدمته حصاة فقال:

حسبى الله توكلت عليه ... ونواصى الخلق طرا بيديه

ليس للهارب فى مهربه ... أبداً من روحة إلا إليه

رب رام لى بأحجار الأذى ... لم أجد بدا من العطف عليه

فقلت له تعطف عليهم وهم يرمونك، قال اسكت لعل الله سبحانه وتعالى يطلع على غمى ووجعى وشدة فرح هؤلاء فيهب بعضنا لبعض.

ولبهلول:

حقيق بالتواضع من يموت ... وحسب المرء من دنياه قوت

فما للمرء يصبح ذا اهتمام ... وشغل لا تقوم له النعوت

صنيع مليكنا حسن جميل ... وما أرزاقنا مما يفوت

فيا هذا سترحل عن قريب ... إلى قوم كلامهم السكوت

قال عبد الرحمن الكوفى لقينى بهلول المجنون فقال لى أسألك، قلت اسأل، قال أى شىء السخاء قلت البذل والعطاء، قال هذا السخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين؟ قلت المسارعة إلى طاعة الله، قال أفيريدون منه الجزاء؟ قلت نعم بالواحد عشرة، قال ليس هذا سخاء هذه متاجرة ومرابحة، قلت فما هو عندك؟ قال لا يطلع على قلبك وأنت تريد منه شيئًا بشىء.

قال عمر بن جابر الكوفى مر بهلول بصبيان كبار فجعلوا يضربونه فدنوت منه فقلت لم لا تشكوهم لآبائهم؟ فقال لى اسكت فلعلى إذا مت يذكرون هذا الفرج فيقولون رحم الله ذلك المجنون!

قال صباح الوزان الكوفى لقيت بهلولا يومًا فقال لى أنت الذى يزعم أهل الكوفة أنك تشتم أبا بكر وعمر؟ فقلت معاذ الله أن أكون من الجاهلين، قال إياك صا صباح فإنهما جبلا الإسلام وكهفاه ومصباحًا الجنة وحبيبًا محمد ﷺ وضجيعاه وشيخًا المهاجرين وسيدهم ثم قال: جعلنا الله من الذين على الأرائك يسمعون كلا م الله إذا وفد القوم إلى سيدهم.

على بن الحسين قال: لما مات أبو بهلول خلف ستمائة درهم، فأخذها القاضى وحجز عليها، فأتاه بهلول فقال أصلح الله القاضى وتزعم أنى مصاب فى عقلى فأنا جائع فادع لى بمائتى درهم حتى أقعد فى أصحاب الحلقات أبيع وأشترى فإن رأيت منى رشدًا ضممت إليها الباقى وإن تلفت فالذى أتلفت أقل مما بقى، فدعا القاضى بالكيس ووزن له مائتى درهم، فأخذها بهلول ولزم الحية حتى أنفذها، ثم جاء إلى القاضى وهو فى مجلس الحكم فقال يا بهلول ما صنعت؟ فقال أعز الله القاضى أنفقتها فإن رأى القاضى أن يزن من ماله مائتى درهم ويردها إلى الكيس حتى يرجع الكيس إلى ما كان قال القاضى فتجحد لى ما أخذت؟ قال كلا ولكنى ما أقمت عندك شاهدين بأنى موضع لها، قال صدقت، ودعا بمائتى درهم وردها إلى الكيس.

قال عباس البناء نظر بهلول إلى وأنا أبنى دارًا لبعض أبناء الدنيا فقال لى لمن هذه الدار؟ فقلت لرجل من نبلاء الكوفة، فقال أرنيه فأريته إياه فناداه يا

هذا لقد تعجلت الحماية قبل العناية اسمع إلى صفة دار كونها العزيز أساسها المسك وبلاطها العنبر اشتراها عميد قد أرعج للرحيل كتب على نفسه كتابًا وأشهد على ضمائره شهودًا، هذا ما اشترى العبد الجافى من الرب الوافى اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع إلى عز الورع فما أدرك المستحق فيما اشتراه من درك فعلى المولى خلاص ذلك وتضمينه أراه شهد على ذلك العقل وهو الأمين والخواطر وذلك فى أديار الدنيا وإقبال الآخرة أحد حدودها ينتهى إلى ميادين الصفا والحد الثانى ينتهى إلى ترك الجفاء والحد الثالث ينتهى إلى لزوم الوفا والحد الرابع ينتهى إلى سكون الرضا فى جوار من على العرش استوى، لها شارع ينتهى إلى دار السلام وخيام قد ملئت بالخدام وانتقال الأسقام وزوال الضر والآلام، يا لها من دار لا ينقضى نعيمها ولا يبيد، دار أسست من الدر والياقوت شرف تلك الخدور وجعل بلاطها من البهاء والنور، قال فترك الرجل قصره وهام على وجهه، وأنشأ بهلول يصيح خلفه ويقول:

يا ذا الذى طلب الجنان لنفسه لا تهربن فإنه يعطيكا

قال بعد الخالق سمعت أبى يقول سمعت بهلولا يقول من كانت الآخرة أكبر همه أتته الدنيا وهى راغمة، ثم أنشأ يقول:

يا خاطب الدنيا إلى نفسه تنح عن خطتها تسلم

إن التى تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم

قال كثير بن روح رأيت بهلولا ذات يوم يتمثل وهو يقول هذه الأبيات:

يا طالب الرزق فى الآفاق مجتهدًا أتعبت نفسك حتى شفك الطلب

تسعى لرزق كفاك الله بغيته اقعد فرزقك قد يأتى به السبب

كم من دنيء شعيف العقل تعرفه له الولاية والأرزاق والذهب!
ومن حسيب له عقل يزينه بادى الخصاصة لا يدرى له سبب
فاسترزق الله مما فى خزائنه فالله يرزق لا عقل ولا حسب!

قال بعض أهل الكوفة ولد لبعض أمراء الكوفة ابنة فساءه ذلك فاحتجب وامتنع من الطعام والشراب فأتى بهلول حاجبه فقال ائذن لى على الأمير، ما هذا الحزن لذات سوى هيأته رب العالمين أيسرك أن لك مكانها ابنًا مثلى؟ قال: ويحك فرجت عنى فدعا بالطعام وأذن للناس.

قال عبد الواحد بن زيد مر بهلول برجل قد وقف على جدار رجل يكلم امرأته، فأنشأ يقول:

كن حبيبًا إذ خلوت بذنب دون ذى العرش من حكيم مجيد(؟)
أتهاونت بالآلة بديا وتواريت عن عيون العبيد
اقرأت القرآن أم لست تدرى أن ذا العرش دون حبل الوريد

ثم ولى وهو يقول من نوقش فى الحساب غفر له، فقلت له من نوقش الحساب عذب، فقال اسكت يا بطال أن الكريم إذا قدر غفر!

وبهلول:

إذا خان الأمير وكاتباه وقاضى الأرض داهن فى القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لأهل الأرض من أهل السماء

قال الحسين الصقلى نظرت وقد زار سعدون بهلولا ورأيتهما فسمعت سعدون يقول لبهلول أوصنى وإلا أوصيك فناداه بهلول أوصنى يا أخى فقال

سعـدون أوصيك بحفظ نفسك ومكنهـا من حبك فإن هذه الدنيـا ليست لك بدار، قال بـهلول أنا أوصيك يا أخى، فـقال قل، فـقال: اجعـل جوارحك مطيتك واحمل عليها زاد معـرفتك واسلك بها طريق متلفك فإن ذكرتك ثقل الحمل فذكـرها عاقبة البلوغ. فلم يزالا يبـكيان جميعًـا حتى خشيت عليـهما الفناء.

قال على السير فى حمل الصبيان يومًا على بهلول، فانهزم منهم فدخل دار بعض القرشـيين ورد الباب، فخـرج صاحب الدار فأحـضر له طبقًا فـيه طعام فجعل يأكل ويقول "فضرب لهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

قال نعيم الخشاب كتب بهلول إلى الواثق:

"أما بعد فإن المراء قد لعب بدينك والأهواء قد أحاطت بك ومقالات أهل البدع قد سلخت عنك عقلك وابن أبى داود المشـئوم قد بدل عليك كلام ربك، اقرأ فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى، إلى قـوله فاعبدنى أيكون هذا الكلام مخلوقًا، فرماك الله بحجـارة من سجيل مسومة عند ربك وما هو من الظالمين ببـعيد" ثم كـتب عنوانه "من الخائف الذليل إلـى المخالف لكلام ربه تعالى".

قال سالم بن عطية كتب بهلول إلى ابن أبى داود:

"أما بعد فإنك قد ميزت كلام الله من الله وزعمت أنه مخلوق فإن يك ما ذكـرت باطلا فرمـاك الله بقارعـة من عنده، ويلك أكـتب معه حـين كلم موسى، فإن كنت رادًا عليه فاقرأ: عليها غـيرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة" ثم كتب عنوانه "من الصادق المتواضع إلى الكاذب المتجبر".

قال عبد الرحمن الهاشمى لما ولى الخلعى على شرطة بغداد وكان يرى برأى ابن أبى داود كتب إليه بهلول:

"أما بعد فإن السماء بأكنافها ونور كواكبها وضياء شمسها وقمرها وصفوف ملائكتها والعرش والملائكة المقربين وافحجب المزدلفة بقدرة خالقها والنار وزبانيتها والجنة وسندسها والأرضين وجبالها والجبال وكهوفها والحيتان فى بحارها والوحش فى قفارها والجن فى أقطارها والطير فى أوكارها والسباع فى وجارها والأشجار وثمارها يسبحون له فى الغدو والآصال"

ولبهلول فى الترقيق

اضمر من أضمر حبى له ... فيشتكى إضمار إضمار

رق فلو مرت به ذرة ... لخضبته بدم جارى

وله أيضًا فى أرق منه:

اضمر أن يأخذ المراة لكى ... ينظر تمثاله فأدناها

فجاء وهم الضمير منه إلى ... وجنته فى الهوى فأدماها

وله أيضًا:

شبهته قمرًا إذ مر مبتسمًا ... فكاد بحرجه التشبيه أو كلما

ومر فى خاطرى تقبيل وجنته ... فسبلت فكرى من عارضيه دما

قال محمد بن عبد الله بينا أنا فى مسجد الكوفة يوم الجمعة والخطيب يخطب، إذ قام رجل به لمم وجنون فقال: أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا، فقام بهلول فقال ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما.

قال علي بن خالد ليلة على سور طرسوس فمر بهلول فلكزنى ثم أنشأ يقول:

يا طالب الحور ألا تستحى ... يحملك النوم على السور
وخاطب الحور طويل البكا ... مقيد الأعضاء محصور
لا يطعم الغمض وما أن له ... راحة جسم أو يرى الحور
فى جنة زخرفها ذو العلى ... ينعم فيها كل محبور

قال فانتبهت فزعًا ولم أتم بعد ذلك فى الحرس.

وسئل بهلول عن رجل مات وخلف ابنًا وابنة وزوجة ولم يخلف من المال شيئًا كيف تكون القسمة، فقال للابنة الثكل وللزوجة خراب البيت وما بقى من الهم فللعصبية!

قال محمد بن خالد الواسطى أنشدنى بهلول يقول:

دع الحرص على الدنيا ... وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال ... فما تدرى لمن تجمع
فإن الرزق مقسوم ... وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذى حرص ... غنى كل من يقتنع

***

عليان المجنون

قال عبد الملك بن أبجر لقيت عليان المجنون وكان اسمه عندى عليان فقلت له يا عليان فقال: لا إله إلا الله قل خيراً يا ابن أبحر ولد لأبى مولود قبلى فسماه ببركات رسول الله ﷺ ثم ولدت فسمانى "عليا" ببركات وصى رسول الله ﷺ فمن صغرنى فقد صغر وصبى رسول الله ﷺ ومن طيبت به للتصغير بى فما طيبت بك يا ابن أبحر، فجعلت لا أسميه إلا عليا أو كنيته.

قال حفص بن غياث القاضى مررت فى طاق السراجين فإذا عليان جالس، فلما جزته سمعته يقول "من أراد الدنيا وحزن الآخرة فليتمن ما هذا فيه" فوالله لقد تمنيت لو كنت مت قبل أن ألى القضاء.

قال الحسن الكوفى قال رجل لعليان أجننت؟ قال أما عن الغفلة فنعم وأما عن المعرفة فلا، قال كيف حالك مع المولى؟ قال ما جفوته مذ عرفته، قال ومذكم عرفته؟ قال مذ جعل اسمى فى المجانين!

قال السرى مولى ثوبان أدركت بالكوفة مجنونًا يقال له عليان وكان يأوى إلى دكان طحان وكانت معه عصى لا تفارقه، وكان الصبيان قد علموا وقت مسيره إلى الدكان فيجتمعون ويعبثون به، فإذا بلغت أذيتهم منه قال للطحان قد حمى الوطيس وطاب اللقاء وأنا على بصيرة من أمرى فما ترى؟ فيقول شأنك، فيثب وهو يقول:

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه وأعرض عن ذكر العواقب جانبًا

ثم يشد مئزره ويقول:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بإظهار

ثم يتناول العصا ويشد عليهم ويقول:

اشد على الكتيبة لا أبالى احتفى كان فيها أم سواها

والصبيان يهربون، فإذا أرهقهم طرح الصبيان أنفسهم وكشفوا عن عوراتهم. فيعرض عنهم بوجهه ويقول عورة المؤمن حمى لولا ذلك لتلف عمر بن العاص يوم صفين والأخذ بكلام على رضى الله عنه أولى بنا أمرنا أن لا نتبع موليا ولا نذفف على جريح، ثم يرجع ويقول:

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد

ثم يعود إلى دكان الطحان ويلقى عصاه ويتمثل:

وألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينًا بالإياب المسافر

قال على بن ظبيان مررت يومًا بالكوفة فلما صرت فى سكك همدان إذا أنا بعليان المجنون وفى يده قصبة فارسية مثل الفتاة وفى رأسها كبة قطن وعليها خرقة، وإذا هو يشد على الصبيان، فإذا أدركهم قالوا القصاص يا على، ثم يلقى القصبة من يده، فلما رأيته نهيت أن أمر بين يديه، فقال لى مر يا على فلست منهم فمررت فلما حاذيته قلت من نوقش فى الحساب عذب قال كلا يا على ربنا أكرم من ذلك فإنه إذا قدر عفا، قلت له من العاقل/ قال من حاسب نفسه وخاف ربه

قال على بن محمد الكنانى كنت بمكة وعليان المجنون بها، وضربه الصبيان، وضربه بعض الفسقة بسكين فقطر منه الدم، فكنت أنظر إلى الدم يقطر على الأرض وبكيت له فبصرت ذلك فى تسعة عشر موضعًا.

قال الإمام أبو يوسف القاضى رحمه الله كنت مارا فى طرقات الكوفة وإذا أنا بعليان المجنون فلما بصرنى سلم على وقال لى أيها القاضى مسألة قلت هات، قال أليس قال الله تعالى فى كتابه العزيز ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ قلت بلى قال أليس قال الله عز وجل ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ قلت بلى، قال فما نذير الكلاب، قلت لا أدرى فأخبرنى، قال لا والله لا أقول الأيمن رقاق من شواء ونصف من فالوذج، فأمرت من جاء بها، ودخلت معه مسجدًا فأكلها حتى أنى على آخرها، فقلت هات الجواب فأخرج من كمه حجرًا وقال هذا نذير الكلاب!

وقال له بعض الناس يومًا يا مجنون، فقال مهلا إنما المجنون من عرفه ثم عصاه.

قال عطاء السلمى مررت ذات يوم فى بعض أزقة الكوفة فرأيت عليان المجنون واقفًا على طبيب يضحك منه ومالى عهد كان بضحكه، فقلت له ما أضحكك؟ قال هذا السقيم العليل الذى يداوى غيره وهو مسقام، قلت فهل تعرف له دواء ينجيه مما هو فيه؟ قال شربة إن شربها رجوت برأه، فقلت صفها، قال خذ ورق الفقر وعرق الصبر واهليلج التواضع وبليلج المعرفة وغار يقون الفكرة، فدقها دقا ناعمًا بهاون الندم واجعله فى طنجير التقى، وصب عليه ماء الحياة وأوقد تحتها حطب المحبة حتى يرمى الزبد ثم أفرغها فى جام الرضا وروحها بمروحة الحمد واجعلها فى قدح الفكرة وذقها بملعقة الاستغفار، فلن تعود إلى المعصية أبدًا.

قال ذو النون المصرى رأيت فى منامى كأن قائلا قال لى إن فى دبر هرقل هكيمًا من الحكماء أفلا تقصده؟ فقلت شأنك، قال أفلا أكثرى لك

حمـاراً أو بغلا قلت لا، قال امش معى فـإن الله سبحـانه يقوينا على ذلك، وكان بيننا وبين الدير عشرون فرصخًا، فمشيت معه نتحدث، فأصبحنا ونحن على باب الدير كـأنا لم نمش إلا يسيـراً، فدخلنا الدير فسألنا عنه فـقالوا لا نعـرف إلا معتـوهًا أو ممروراً أو مـريضًا، قـال ذو النون أنه وصف لنا ها هنا حكيم، قال صـاحب الدير أيكما أحق بالحبس وشـرب الدواء من هؤلاء؟ ما يصنع الحكيم فى دير هرقل؟ قلنا فأذن لنا فى النظر إليهم، قـال شأنكما، فما من محبوس إلا تعـرضنا له فما سمعنا ما دل على غرابة عـقولهم حتى بلغنا إلى أقصى مقصورة فيها، فرأينا رجلا مغلولا مقيدًا قد شد بسلسلة إلى حجر كبـير، قـال ذو النون فـتعـرضت له فقـال قل خيـراً تغنم أو اسكت تسلم، فسلـمت عليه، فـرد، فقلت له مـا اسمك قال اسـمى على وأعرف بعـليان الكوفى، قلت له أنت عليـان الكوفى؟ قال نعم، قلت فمن حـبسك ها هنا؟ قال الحب ينطق والحياء يسكت والحرق يقلق، فتغير لونى وارتعدت فرائضى، فقلت يا على ما طيب العيش قـال إذا قذف بك فى عين الأنس فكلك معه، قلت يا على فما بلغ بك ما أرى؟ قال كنت عاقلا ظريفًا وكان المدبر والسايس غيرى وأنا منبوذ بين كنفه وعطفه فـإن شاء عفا وإن شاء عاقب وإن شاء أبلى وإن شاء عـافى وهو الفعال لما يريد، وإن الطبـيعة النقيـة يكفيهـا من العظمة اللمحة ومن الحكم الإشـارة إليها، قلت فإنى أسترشـدك. قال إن كان همك طلب الدلالة فإن ذلك أمر لا نهاية له وإن كان همك وجـوده فهو موجود فى أول خطره ولو احتـملت الزيادة لزدناك، قال ذو النون فكنت رأيت كثـيراً من العباد، فـما هبت أحداً قط منهم كهيـبته. قال على بن ظبـيان: أتانى عليان ذات يوم وأنا فى دارى فقلت له: مـا تشتهى؟ قـال: فالوذج[1] فأمرت أهل

(١) الفـالوذج أو الفافـود: حلواء تعمل من الدقـيق والماء والعـسل وهو أحب الحلويات عند العرب.

الدار فاتخذوا له فالوذجًا وقدم إليه فأكله. ثم قال: يا علي! هذا فالوذج العام. فهل لك فى فالوذج العارفين؟ قلت نعم. قال: خذ عسل الصفا، وسكر الوفا، وسمن الرضا، ونشا اليقين. ثم ألقها فى طنجير التقى، ثم صب عليه ماء الخوف، وأوقد تحتها نار المحبة، ثم حركها باصطام العصمة، ثم اجعلها فى جام الذكر، ثم روحها فى مروحة الحمد حتى تبرد، ثم كلها بملعقة الاستغفار. فإنك إن فعلت ذلك ضمنت لك أن لا تعصى ربك أبدًا.

قال زهير بن حرب: أمر الخليفة موسى الهادى بإحضار بهلول وعليان فأحضروا. فلما دخلا عليه قال لعليان: إيش معنى عليان؟ قال عليان: وإيش معنى موسى اطبق[1] فغضب الهادى وقال: خذوا برجل ابن الفاعلة. فالتفت عليان إلى بهلول وقال خذها إليك. كنا اثنين فصرنا ثلاثة.

قال أبو جعفر السباح: لقيت عليان يوم العيد على شدة شوقى إليه، وقصد مقبرة فلما توسطها رفع رأسه وقال: اللهم بك صام الصائمون، ولك قام القائمون، وقربوا قرباتهم، ودخلوا منازلهم، وأنسوا بأهاليهم. وقد قربت قربانى. فليت شعرى! ما صنعت بقربانى؟ اللهم! إنى أصبحت لا منزل لى، ولا عندى طعام. فاجعل قربانى منك بالمغفرة. فلما رآنى أرمته. وثب هاربًا على وجهه.

وقال أبو على السيرافى: اشتقت إلى عليان لما كان بلغنى عنه، ودخلت الكوفة فى طلبه فقالوا: هو فى المقبرة، فدخلت المقبرة فلما رآنى هرب،

---

(١) كان موسى الهادى يسمى: موسى اطبق لأن شفته العليا كانت تقلص وكان أبوه وكل به فى صغره خادمًا كلما رآه مفتوح الفم قال: موسى اطبق. فيفيق على نفسه ويضم شفته. فشهر بذلك أ هـ.

فدخل مسجداً ورد الباب، فدخلت عليه فإذا هو فى صلاة. فلما فرغ أقبل على مناجاته فقال: إليك توجهت الطالبون وأرادوك، وإياك قصد المحبون واشتاقوك فآثروك. فدنوت منه وقلت: أحب أن تجيبنى. فقال: نعم. فجئت إلى منزلى به وقلت ما تشتهى؟ فقال: ما اشتهيت منذ أربعين سنة إلا المولى. قلت: إلا اتخذ لك عصيدة جيدة؟ قال هذا إليك. فاتخذت له عصيدة بالسكر ووضعت بين يديه. فقال: لا أريد مثل هذا ولكنى أريد على الصفة التى أصفها لك، قلت صفها لى. قال: خذ تمر الطاعات، واخرج منه نودى العجب، وخذ دقيق العبودية، وزعفران الرضا، وسمن النية، واجعل ذلك فى طنجير التواضع، وصب عليه ماء الصفا، وأوقد تحتها نار الشوق، بحطب التوفيق، وحركه باصطام الحمد، واجعله على طبق الشكر، وضعه بين يدى. فمن أكل منه ثلاث لقمات كان شفاء لصدره، وشفاء لذنوبه، ثم قام ونفض ذيله وأنشأ يقول:

أفلح الزاهدونا والعبادونا ... إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أفرحوا الأعين الغزيرة شوقًا ... فمضى ليلهم وهم ساجدونا

حيرتهم مخافة الله حتى ... زعم الناس أن فيهم جنونا

***

أبو الديك المجنون

قال عبد الله بن محمد الفقيه: أرسل إلى عمران بن إسحاق بن الصباح فأتيته، وإذا أبو الديك عنده وكان حسن البديهة، جيد الجواب. فإذا هو يجلب ويشير إلى الحائط، كأنه تكلم شيئًا، وكان ذلك لا يعتريه إلا عند

الجوع، فقال عمران: على بالمائدة. ثم قال هلم وقال: هذه التى قال الله تعالى فى كتابه حكاية عن نبيه عليه السلام ﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء﴾ قال لى: يا عبد الله! هذه فطن العقلاء، وأذهان الحكماء. ثم أقبل على عمران وقال: أيها الأمير! ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا. فأنا مسكين يتيم أسير فى حبس شيطان قد وكل بى، أعاذنى الله منه. ثم أقبل على الطعام فإذا فتى ينشد شعرًا:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع

فى أهله، وفى غير أهله، ولو كان لا يصرف إلا فى أهله، كيف كان ينالنى منه شىء. وأنا معتوه، وكنيتى أبو الديك.

***

عبد الرحمن بن الأشعث المجنون

قال سيف بن سوار قاضى واسط: كان عبد الرحمن بن الأشعث الكوفى جارا لنا وكان جميلا وسيمًا من أمثل أهل زمانه وكان يقدم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وكان أهله على غير ذلك ثم غلبت عليه المرة فأحرقته وطيرته وكان إذا خرج من بيته أولع به الصبيان يؤذونه ويقولون: يا حموية فلا يجيبهم. وإذا قيل له يا عبد الرحمن قال لبيتكم أنا عبد الرحمن، فرأيته يومًا والصبيان يرمونه بالحجارة فقلت له ارميهم وكفهم عنك قال لا أفعل يمنعنى من ذلك خصلتان خوف الله عز وجل وأن أكون مثلهم.

فمر بى ذات يوم وأنا جالس أقرأ كتاب الصلوات لمحمد بن الحسن وكان أخى إلى جنبى وكان مكتوفًا[1] أسن منى وكان أحد الصالحين فقلت يا عبد

(١) لعله مكفوفًا.

الرحمن لو جلست فسميت. فقال وكيف يا ابن جابر إنما يصيد كل طائر قدر. ثم قال يا ابن جابر لئن أعجبت بحالك عندها ولا الذين حولك ليعجبنى أخوك هذا يوم القيامة بمكانه من الله إن شاء الله تعالى. فبكى أخى حتى سقط على وجهه وهو واقف ينظر إليه. ثم قال يا ابن جابر لأنى أنظر إلى استبشار الملائكة ببكائك. فغشى على أخى فحمل. ثم قال يا سيف بن جابر اخزن لسانك، كما تخزن دراهمك. وإذا أعجبك الكلام فاصمت. قال: فقلت له اجلس وما أقول لك إلا لآنس بك. قال: أقول يا ابن جابر ما قال نبيه أيوب عليه السلام ﴿رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ فما بقى منا واحد إلا بكى! فقال: ما يبكيكم؟ أليس يكفى لى خيراً مما أخذ منى حبه وحب أنبيائه وصالح عباده وتقديم أبى بكر وعمر رضى الله عنهما. ثم ولى هاربًا.

قال سيف بن جابر خرجت يومًا إلى الجبانة فى جنازة فلما دفناها جعلت أدور فى المقابر فإذا أنا بعبد الرحمن بن الأشعث جالس بين قبرين واضع خده على ركبتيه وهو يقول: شردتنى فى البلاد، وطيرتنى فى الجبانين، وآنستنى فى القبور. ثم قال: أستغفر الله أما أنى أعلم أنك مأمورة ولو عصيت الله سلط عليك من هو شر منك على. قال فقلت يا عبد الرحمن من تكلم؟ قال هذه المسلطة على. قلت ومن هى؟ قال المرة[1] قلت فلو دعوت الله سبحانه رجوت أن يذهبها عنك. قال يا ابن جابر! ربما دعوت الله وربما سمع. وهو الفعال لما يشاء. فإما دعائى فاستغاثة بالله وإما إمساكى فتسلم لأمر الله ورضى بقضائه. قلت أفلا أجلس معك أو نسك، قال لى

(١) المرة عند الأطباء خلط من أخلاط البدن وهى الصفراء لأنها أقوى الأخلاط.

لا. قد جعل الله تعالى أنسى فى الوحدة. كما جعل أنسك فى حلق الفقه. ثم قال يا سيف ابن سوار! أليس يروى أن مورقًا العجلى قال إنى لأسأل الله تعالى حاجة منذ عشرين سنة، ما أعطيتها، وما يئست منها. قلت بلى. قال لى - وهو مغضب بأرفع صوته - يا سيف والله لو قطعنى جذامًا وبرصًا لعلمت أن ذلك له وأنه الحكم العدل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

***

فليت المجنون

قال محمد بن عبد الرحمن الكوفى كان لنا جار يقال له (فليت) وكان معتوهًا. وكانت له خالة وهى عجوز كبيرة قد أدركت عجائز الحى. فكنت أتحدث عندها وكان لها عقل ودين فكنت عندها ذات يوم. إذ دخل فليت فقلت له يا فليت! أيسرك أنك أمير المؤمنين؟ فقال لا فقلت ولم؟ قال يثقل ظهرى، ويكبر همى، وأنسينى النعم ذكر ربى. قلت وفى الأرض عاقل لا يتمنى أه خليفة! قال وفى الأرض عاقل يتمنى أنه خليفة.

قال محمد بن ثابت لقيت فليتًا فقلت له ما تشتهى؟ "قال عصيدة فجئته بها وأدخلته بعض المساجد فأكل حتى أتى على آخرها فظننت أن به جوعًا فقلت أتحتاج الزيادة؟ فقال لا يا أخى هذا زادى إلى عشرة أيام.

قال عمرو العسكرى رأيت فليتًا يومًا والصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول فلمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور.

قال ومر بى يومًا فقال لى كم بقى من الشهر؟ فقلت ثلاثة أيام. قال وايلاه! أنقضى الشهر ولم أتزود فيه لمعادى.

قديس البصرى المجنون

قال رجل من الأنصار لقديس البصرى وكان موسوسًا ذاهب العقل. يا قديس ألا تعده من الصباح إلى الأرواح أيوجعك جسدك إذا جاء الليل؟ فقال:

إذا الليل ألبسنى ثوبه ثقلت فيؤنسنى الموجع

رأيت التصبر ستر الهوى إذا اشتملت قوة الأضلع

وكيف يطيق فنى كتمه وأجفانه أبدًا تدمع

فقلت أسألك عما يشتكى جسدك، فتنشدنى الشعر. فقال يا ابن الفاعلة! قد أجبتك. فقلت أتسبنى وأنا سيد من سادات الأنصار؟ ثم قال:

وإن لقوم سودوك لحاجة إلى سيد لا يظفرون بسيد

قال صالح السرى قدم علينا محمد بن السماك العابد فقال أرونى عبادكم؟ فذهبت به إلى قديس وقرأت "إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون" فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على هذا الحال.

* * *

أبو سعيد الضبعى المجنون

قال سعيد بن عامر مر بى أبو سعيد الضبعى ذات يوم فقلت له ألا تجلس عندى ساعة؟ قال بلى متزينًا بمجالستك فجلس فقلت يا أبا سعيد! ما أفضل الكلام؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ. قلت وأى الأعمال أفضل؟ قال إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج

إلى بيت الله الحرام، وبر الوالدين. قلت فأى الرجال أحب إليك؟ قال أحسنهم خلقًا. قلت فأى النساء أحب إليك؟ قال المتحببة النقية وإن كانت قبيحة.

قال بكار بن على قلت لأبى سعيد يومًا كيف أصبحت؟ قال أصبحت مؤمنًا بالله لا أقول بقول القدرية ولا المرجئة ولا بقول الجهمية ولا الرافضة فأما القدرية فتزعم أن العبد لو لقى الله بمثل حبة خردل من المعاصى مصراً عليها كان فى نار جهنم مخلداً. وأما المرجئة تقول من لقى الله بشهادة لا إله إلا الله فهو فى الجنة وإن زنى وإن سرق. وقالت الجهيمة علم الله مخلوق فكفرت بالخالق. وقالت الرافضة بعث جبريل عليه السلام إلى على فغلظ فجاء إلى محمد. فكفرت بالله وجحدت محمداً ﷺ. قلت فما تقول أنت؟ قال أقول: خلق الله الخلق كما يشاء لا كما يشاءون فمن عذبه منهم عذبه غير ظالم. ومن رحمه فرحمته وسعت كل شىء عز وجل إن يقال له لم وكيف فقد قال تعالى فى كتابه العزيز ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ ثم قال يا ابن عامر هل أنكرت شيئًا؟ قلت لا.

قال سعيد بن عامر كان بالبصرة وال يقال له محمد بن سليمان وكان كلما صعد المنبر أمر بالعدل والإحسان. فاجتمع قوم من نستاك البصرة فقالوا أما ترون ما نحن فيه من هذا الظالم الجسائر وما أمر به. فأجمعوا أن ليس له إلا أبا سعيد الضبعى. فلما كان يوم الجمعة احتوشوا أبا سعيد وهو لا يتكلم حتى يحرك فلما تكلم محمد بن سليمان حركوه. وقالوا يا أبا سعيد! محمد يتكلم على المنبر يأمر بالعدل والإحسان. فقال يا محمد بن سليمان إن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا

تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا مـا لا تفعلون﴾. يا محمد بن سليمان ما بينك وبين أن تتمنى أنك لم تخلق إلا أن يدخل مـلك الموت بيتك. قـال فخنقت محمد بن سليمان العبرة ولم يقدر على الكلام. فقام أخوه جعفر بن سليمـان إلى جانب المنبر فـتكلم عنه. قال فـأحبتـه النساك من حين خنقـته العبرة. فقالوا مؤمن مذنب.

قال سعيد بن عامر: كان لجعفر بن سليمان جارية اسمها الخيزران وكان مفـتونًا بها وشـهر ذلك بالبـصرة. فركب يومًـا فى جماعـة من الموالى يريد الجمعة فمر بأبى سعيد الضبعى فلـما حاذاه قيل لأبى سعيد هذا جعفر. فرفع رأسه وقال يا جعفر تحب خيزران قال نعم. فقال أبو سعيد:

نبئتها عشقت حشا[1] فقلت لها لا يعشق الحس إلا كل كناس

قال فضرب جعفر وجه دابته ومضى حياء من الناس.

وله حكايات اكتفينا منها بهذا القدر.

***

جعيفران المجنون[2]

قال محمـد بن جعفر الدينورى لقيت جعيفـران الموسوس وقد جاء إلى على بن إسماعـيل الهاشمى الملقب بالظاهرية وكانت له هيـئة فوقف بين يديه فقال أعطنى درهمًا فرماه الغلمان ونحوه. فقال:

قد زعم الناس ولم يكذبوا أنك من غير بنى هاشم

---

(١) الحش مثلثة، الستان ويكنى به عن المستراح لأنهم كانوا يتغوطون فى البساتين.

(٢) جعيفران بن على بن أصفر بن السرى بن عبد الرحمن الأنبارى من أهل سامرا توفى سنة ٢٠٨ هـ.

فقال على بن إسماعيل فضحنى والله وهم بقتله. ثم قال يا جعيفران! ما تريد؟ قال درهمًا صحيحًا، ورغيفًا حوارى، وفالوذجًا، فجيء بها وقعد وأكله أجمع، وأخذ الدرهم وقال:

فكذب الله أحاديثهم يا هاشمى الأصل من آدم

قال عبد الله بن عثمان أبطأ عند جعيفران يومًا. ثم عاد إلينا وهو عريان يشتد والصبيان يرمونه بالحجارة فسلم على وقال يا عبد الله:

رأيت الناس يدعونى مجنونًا على حال
ولو كنت كقارون وفرعون بإقبال
وما ذا على حق ولكن هيبة المال

قلت أيحضرك شيء على غير هذه القافية فى هذا المعنى حتى نعلم أنك شاعر فقال:

رأيت الناس يدعونى بمجنون على عمد
وما بى اليوم من حسن ولا لبس ولا عقد
ولو كنت كقارون ووالى رحبة الجند
رأونى راجح العقل جميلا حسن القد
وما ذاك على حق ولكن هيبة النقد

فقلت أعندك مزيد على هذا؟ فإن جئت بالثالثة أقررت لك بأنك شاعر. فأطرق ثم قال قم بنا إلى المنزل فقمنا معه فقال:

رأيت الناس يرمونى بوسواس لأيامى
وما كنت أخا موق[1] قديمًا قبل تهيامى
ولكنى أرى ذاك لا دفاعى وإعدامى
ولو كنت أخا ملك وإسراج وإلجام
إذا أكرمنى الناس ولم أرم بالمسام
وكانوا كل أوقات يباهون بإكرامى

قال فأدخلته منزلى وغذيته وقعدت أنا وقوم من أصحابنا ثم عاتبناه على ما يصنع بنفسه ووبخناه بأنواع اللوم فأنشأ يقول:

رأيت الناس أحيانًا ليرمونى بوسواس
ومن يضبط يا هذا مقال الناس فى الناس
فدع ما قاله الناس وعجل صفوة الكاس
فإن الناس يفرون بأمثالى وأجناسى
ولو كنت أخا ملك أتونى بين جلامى
يقومون ويقعدون على الرجلين والراس!

ثم قال يا فتى هذه أربعة وقام قومة فقال لى أحد أصحابى لو جئنا بقينة قلت ومن يجبئ بقينه بين يدى مجنون دعونا اليوم نلهو فقد حل علينا فقال:

ونداماى أكلونى إن تغيبت قليلا
زعموا أنى مجنون أرى العرى جميلا

(١) الموق الحمق فى غباوة.

كـــيف لا أرعى ومـــا لبـ ـصـــر فى النـاس مـثـيـلا
باسطًا للجـــود كـــمـــا قـــائلا خـــيـــراً فـــعـــولا
إننـى أهـوى كـــــــرام النـاس لا أهوى البـــخـــيـــلا
إن أكـن ســـؤتـكـم اليـــوم فـــخلـوا لى ســـبـــيـــلا
وابتـغـــوا غـــيـــرى نـديمًـا لـــكـــم مـــنـــى بـــديـــلا
وأتمـوا يـومـكـم حـــــيـ ـيـــــاكـم اللـه طـويـلا

قال فـندمنا على ما كـان منا فقلنـا له معك نلذ ونفـرح فأتيناه بثـوب فطرحناه عليه وأتيناه بقينة فأنشدت له.

لا تـزوج فـــتـــهـلـكـا حـــذرك اليـــوم حـــذركـــا
إن للـعـــرس مـــرجـــعًـــا عـــيـنهـــا يـورث البكـا
لا يـغـــرنـك ســـقـف بيـ ـت وفـــرش ومـــتـكـا
عـن قـلـيـل يـشـكـى إلـيـ ـك فـــتـــرثى لمـن بكـا

قال محمد بن مهـدى الكاتب أنى جعيفران إلى بعض الولاة وهو يأكل فدعى إلى طعامـه فأكل معه فلما كـان من الغد حجب فقـعد على الباب ثم كتب إليه شعراً.

علـيك إذن فـــأنا قـــد تغـــذينا لسنـا نعـود فـقـد كنا تسـقـينا
بأكلـة سلفت انـقت حـرارتـهـا مـــاذا بقلبك قـد صـمنا وصلـينا

قال أبو العبـاس الأسدى لقيت جعـيفران فقلت له أتجيـز لى هذا البيت الشعر؟ قال نعم بدرهم صحيح. قلت له نعم. قال هات فأعطيته وأنشدته.

وما الحب إلا لوعة قدمت بها عيون المها باللحظ بين الجوانح

ففكر ثم قال:

ونار الهوى تطفى عن القلب فعلها كفعل الذى جادت به كف قادح

وأنشد أيضًا:

يا واعد الوعد ليس ينجزه أف لمن لا يتم ما وعدا

أف لمن لا يزال صاحبه فى تعب من عذابه أبدا

أكل طول الزمان أنت إذا جئتك فى حاجة تقول غدا

لا جعل الله إليك ولا عندك ما عشت حاجة أبدا

وله أيضًا:

لا تيأسن إن كنت ذا فاقة تتعب فى نزر من الرزق

بين الفتى فى شر أحواله صاحب خلقان على الطريق

صار أميرًا أن ذا عبرة وقدرة الله فى الخلق

وذكر ابن أبى خالد قال كان بعض أصحابنا لقى جعيفران فقال له مصراع بيت أن أتممته فلك درهم قال هات قال "ألا عجزت عن الصبر العقول" فقال بالبداهة! "لأن سبيله مر ثقيل" هات الدرهم[1].

---

(١) وجاء فى البيان والبيتين للجاحظ قال: شهدت رجلا أعطاه درهمًا وقال قل شعرًا على الجيم فأنشأ يقول:

عادنى الهم فاعتلج كل هم إلى فرج

سل عنك الهموم بالـ ـكأس والراح تنفرج =

سهل بن أبى مالك الخزاعى المجنون

قال عبد الله بن إدريس مررت بابن أبى مالك فقال اسكت - وغضب. وانقلبت عيناه - فإن أعمالك كلها حادات. قال فوالله لقد داخلنى من الفرق منه أمر عظيم. فلما كان يوم الجمعة حملت معى ثلاثة دراهم فأمرت إنسانًا يطلبه فوجدته. فدفعت له الدراهم فتبسم يحسبنى أنى أكلمه فوقفت حيث أراد ثم أقبل على فقال لى قل. قلت يا ابن أبى مالك ما تقول فى النبيذ؟ قال حلال. قلت تشربه؟ قال إن شربته فقد شربه وكيع وهو قدوة. قلت تقتدى بوكيع فى تحليله ولا تقتدى فى تحريمه. وأنا أسن منه. فقال إن قول وكيع مع اتفاق أهل البلد. معه أحب إلى من مقالتك مع اختلاف أهل البلد عليك. وقلت له ما تقول فى الغناء؟ قال قد غنى البراء بن مالك وعبد الرحمن بن رواحة. وسمع الغناء ابن عمر. وكان عبد الله بن جعفر من التابعين وأمسك. فقلت له سميت جماعة من الصحابة وأمسكت عن عبد الله بن جعفر. فقال لأنك سألتنى عن الغناء ولم تسألنى عن ضرب العيدان. قال بكار بن على كا نسهل بن أبى مالك الخزاعى المجنون عالمًا بالشعر. قال رجل من أصحابنا ما اجود الشعر؟ فقال ما لا يحجبه عن القلب حاجب. مثل قول جميل:

ألا أيها النوام ويحكم هبوا أسألكم هل يقتل الرجل الحب

= وهى أبيات - وكان يتشيع - قال له قائل أتشتم فاطمة وتأخذ درهمًا؟ قال لا، بل أشتم عائشة وآخذ نصف درهم! وهو الذى يقول:

ما جعفر لأبيه ولا له بشبيه أضحى لقوم كثير
فكلهم يدعيه هذا يقول بنى وذا يخاصم فيه
الأم تضحك منهم لعلمها بأبيه

قال عبد الله بن إدريس خرجت من عند عيسى بن موسى فأنا عند طاق المخامل. إذا أنا بابن مالك المجذوب جالس قد نكس رأسه كالمغشى عليه فوقفت على رأسه فقلت يا ابن مالك! فانتبه فزعًا. فقال ما تشاء؟ قلت أى شيء أعجب معنى؟ قال لو قلت من أى النساء لقلت بيضاء شقراء مجدولة شهلاء. ولو قلت أى الرجال أعجب إليك؟ لقلت أصحهم جوابًا وأحسنهم مسألة. فغير مسألتى إياه. ومدح إجابته إياى. قال فلما وليت سمعته يقول انظروا إلى ابن إدريس.

أبا خالد لا زلت سباح غمرة صغيراً فلما خيمت بالشاطى

كنور عبد الله بيع بدرهم صغيراً فلما شب بيع بقيراط!

قال فقبعت رأسى ودخلت فى أضعاف الناس. ولم أعد بعدها إلى مسألته. قال ابن إدريس مررت ذات يوم جمعة بابن مالك فقلت له متى تقوم الساعة؟ قال: ما المسئول فيها بأعلم من السائل. غير أن من مات فقد قامت قيامته. والموت أول عدل الآخرة. فقلت له المصلوب يعذب. قال إن كان مستحقا فروحه يعذب. وما أدرى لعل البدن فى عذاب من عذاب الله. لا تدركه عقولنا. ولا أبصارنا. فإن لله سبحانه لطفًا لا يدرك. وكان جالسًا يف موضع رماد ومعه قطعة جص يحظ بها فيستبين بياض الجص فى سواد الرماد. فقلت له يا ابن مالك! إيش تصنع؟ قال ما كان يصنع صاحبنا. قلت ومن صاحبكم؟ قال مجنون بنى عامر. قلت وما كان يصنع؟ قال أسمعه يقول:

ومالى بها من حيلة غير أننى يلقط الحصى والخط فى الدار مولع

قلت ما سمعته. فضحك وقال أما سمعت قول الله سبحانه؟ ﴿ألم تر

إلى ربك كيف مـد الظل﴾ فهل رأيته؟ يا ابن إدريس كلام العـرب. قال ومر بى وأنا فى المسجد فصحت به ليعطف فقال:

أقبل على إن أتت بين يدى فأنت بين يدى رب العالمين

قال ابن أويس فأفزعنى والله.

* * *

أبو نصر الجهنى المجنون[1]

قـال ابن أبى فديك كـان عندنا رجل يكنى أبا نصـر من جهـينة ذاهب العقل. وكان يجلس مع أهل الـصفة فى آخر مسجـد رسول الله ﷺ. وكان إذا سئل عن شىء أجاب. فأتيـته ذات يوم ودفعت إليه شيئًا كـان معى. فقال قد صـادفت منا حاجـة. فقلت يا أبا نصـر! ما الشـرف؟ قال حـمل ما ناب العشيرة أدناها وأقصـاها. والقبول من محسنها. والتجاوز عن مـسيئها. قلت فما المروءة؟ قال إطعام الطعام. وإفشاء السلام. وتوفى الأدناس والآثام. قلت فما السـخاء؟ قال جهد المقل. قلت فـما البخل؟ قال أف. وحول فيـه وجهه عنى. قلت لم؟ قال لا تجيبنى قلت قد أجبتك.

قال ابن أبى فديك قدم علينـا يومًا هارون الرشيد سنة ثلاث[2] فأخلى له المسجد فوقف على قبر رسـول الله ﷺ. وعلى منبره. وفى موقف جبريل عليه السلام. واعـتنق أسطوانة التربة. ثم قال قفوا بى على أهل الصـفة فلما

---

(١) هو نصر الجـهنى - كان مقـيمًا بالمدينة. وكـان يطيل السكوت فإذا سئل أجـاب بجواب حسن. وتكلم بكلمات مفيدة. تؤخذ عنه وتكتب توفى سنة ١٩٤ هجرى ا هـ. (طبقات الأولياء).

(٢) لعل ثلاث وسبعون ومائة.

أتاهم حرك أبو نصر وقيل له هذا أمير المؤمنين. فرفع رأسه إليه وقال أيها الرجل إنه ليس بين عباد الله وأمة رسول الله ﷺ وبينك وبين رعيتك وبين الله خلق غيرك. وإن الله سائلك عنهم فأعد للمسألة جوابًا. فقد قال عمر بن الخطاب لو ضاعى سخلة على شاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة. فبكى هارون. ثم قال يا أبا نصر؟ إن رعيتى ودهرى غير رعية عمر ودهره؟ قال دع عنك هذا. والله غير مغن عنك فانظر لنفسك فإنك وعمر لتسألان عما خولكم الله. قال ودعا هارون بمائة دينار فقال ادفعوها إلى أبى نصر. فقال أبو نصر ما أنا إلا رجل من أهل الصفة فادفعوها إلى فلان يفرقها بينهم. ويجعلنى رجلا منهم.

قال ابن أبى فديك أجدبت المدينة فى سنة واشتد حال أهلها وانكشف حال قوم كانوا مستورين بها. فخرجوا يدعون وإذا أبو نصر جالس. قد نكس رأسه فقلت يا أبا نصر! ما ترى ما فى أهل حرم رسول الله ﷺ؟ قال بلى. قلت أفلا تدعو؟ لعل الله أن يفرج عنهم. قال بلى. وحول وجهه إلى القبلة. وقال اجلس بجنبى فجلست. فنهض وعفر وجهه فى التراب. ثم رفع رأسه وقال: يا فارج الهم. وكاشف الغم. ومجيب دعوة المضطرين. رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما. صلى على محمد وعلى آل محمد. وفرج ما اصبح فيه أهل حرم نبيك. ثم غلب فذهب. فقمت من عنده فوالله ما خرجت من السوق حتى رأيت الشمس قد تغطت. فرفعت رأسى فإذا رجل[1] من جراد أرى سوادهن فى الهواء فما زلن يسقطن وأنا واقف انظر حتى ملأت المدينة. فاشتغل كل قوم ما فى دارهم من الجراد فخشوا الأجواف

(١) القطعة العظيمة من الجراد.

وطحنوا وملحوا وملأ الناس الجرار والجناب[1] والقواصير والبواقى جانب بيوتهم. ثم باض بعد ثلاثة أيام فانتشر فى أعراض المدينة لم يخرج منها إلى غيرها ثم ما مرت ثلاثة إلى أن جاءنا عشر سفاين إلى التجار فإذا هى فى الوقت الذى دعا فيه أبو نصر. فرجع السعر إلى أرخص ما كان. ورجعت حال الناس إلى أحسن ما كانت. فأتيت أبا نصر وهى فى مسجد رسول الله ﷺ. فقلت يا أبا نصر! ألا ترى إلى بركة دعائك؟ فقال لا إله إلا الله هذه رحمة الله التى وسعت كل شىء. وقال ابن أبى فديك كان أبو نصر يخرج كل جمعة فيدخل السوق فيقف على مربعة. مربعة.

ويقول إيها الناس! ﴿اتقوا يومًا لا تجزى نفس عن نفس شيئًا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ إن العبد إذا مات صحبه أهله وماله وعمله. فإذا وضع فى قبره رجع أهله وماله وبقى عمله. فاختاروا لأنفسكم ما يؤنسكم فى قبوركم رحمكم الله. ثم لا يزال يفعل ذلك فى مربعة مربعة حتى يأتى مصلى رسول الله ﷺ ثم يمضى إلى الجمعة فلا يخرج إلا للطهور حتى يصلى العشاء الأخيرة.

***

حبان بن خيثم المجنون

قال عطاء السلمى: مررت ببعض أصدقائى ظاهر البلد فنادانى وسألنى أن أبرأ قسمة وناولنى سكرًا وسمنًا ونشاء وقال أصلحه لى. فأمرت من أصلحه. ثم أخذته تحت كسائى أمر به إليه. إذا بحبان بن خيثم المجنون فقال ما معك؟ فقلت شىء أصلحته لبعض رفقائى. فقال اكشف عنه فكشفت فقال

(١) الجناب - الفناء.

ارفعه فإن نفوسنا نقرت منأن تأكله. قلت فما تريد؟ قال فالوذج العارفين قلت وما هو؟ قال خذ قنفد الصفا. وسمن إليها. وزعفران الرضا. وماء المراقبة. وانصب طنجير القلق. وأوقد تحتها حطب الحرق. واعقده باصطام الحياء. ونار الشوق. حتى يزبد زبد الصبر. وترغو رغوة التوكل. ثم أبسط على صحاف الأنس. ثم كله. قلت فإذا أكلته. قال تضج أوجاع القلوب إلى مداويها. وتشكو ألم الضمير إلى مبليها. وتبكى العيون عن محبة مبكيها شوقًا إلى تأنسه محبتها. ثم أنشد فقال:

فهام يجب الله فى القفر سابحًا ... وحطت على سوق القدوم ورواحله

نهاه النهى فارتاح للخوف باطنه ... وخاف وعيد الله فالحق شاغله

فلما جرى فى القلب ماء يقينه ... فأنبت زرعًا لم تجف سنابله

طوى دهره بالصوم حتى كأنما ... عليه يمين أنه لا يزايله

فعاد بحزن قد جرى فى ضميره ... تنوح به أعضاؤه ومفاصله

يسر الفتى ما كن قدم من لقى ... إذا عرف الداء الذى هو قائله

قال عطاء: ومررت به يومًا وهو فى المقبرة واقف على قبر يخاطبه، فقلت من تخاطب؟ قال: صاحب هذا القبر فإنه كان صديقى ورفيقى، قلت: وما قلت؟ قال أقول:

يا صاحب القبر يا من كان يأنس بى ... وكان يكثر فى الدنيا موآ تائى

قلت وما جاوبك؟ قال:

شغلت عنك بشىء لست واصفه ... من الغموم ولوعات وبرحات

قال عطاء: مر بى يومًا فى أزقة البصرة له كيف أصبحت؟ قال:

أصبحت لا أعرف ما صباحى من الهموم لا ولا رواحى

أفرط فى جرمى وفى اجتراحى فصرت كالبازى بلا جناح

***

همام المجنون

قال قاضى أرجان كان أبو همام يقول بالاعتزال وكان همام ولده يقول بقوله. فغلب على عقله فتاه، فقيد وشدت يده إلى عنقه. قال: فدخلت عليه فجلست بعيدًا خوفًا منه. وقلت له: يا همام! كيف جدك؟ قال لى اسكت يا قدرى، فقلت له يا سجان الله! ما هذا الجواب؟ أليست مقالتنا ومقالتك واحدة؟ قال: لا ولا كرامة لك يا ابن الفاعلة. إنى نظرت فى مقالتك ومقالة عمك الضال المفتون فوجدتكما كافرين بالله تعالى فقلت: كيف؟ قال إنكما تزعمان أن الله سبحانه جعل فيكما استطاعة، تغلبان بها: استطاعة الله تعالى، وأنت يا ابن الفاعلة تزعم أن الله سبحانه وتعالى لم يقض عليك الزنا، وأنت قضيته على نفسك، فتبارك الله فى حكمه. وزعمت أن الله لو قال لك افعل، فلعنك الله ولعن عمك. قلت: فأى قول أخذت لنفسك؟ قال رددت الأمر إلى مدبرها وخالقها. وعلمت أن خيرها وشرها ونفعها وضرها منه. قلت ليتك مت قبل هذا الوقت، فقال لى: يا ابن الفاعلة الله سبحانه أرحم بى أمهلنى إلى هذا الوقت الذى عرفت فيه رشدى.

قال شعيب بن مخلد الدهان: دخلت عليه يومًا فقلت له يا همام! ما هذا الذى يبلغنا عنك؟ قال وما يبلغكم عنى؟ قلت بلغنا أنك انتقلت من القول بالعدل إلى القول بالجور، قال همام يا ابن الفاعلة! لو كنت تقول

بالعدل لرددت الأمور إلى مدبرها وخالقها وبعد فأنت تقول بالعدل وتغشى الإثم، فرماه بحجر، فلم يزل يعرج منها. قال واجتمعت به يومًا فقلت له: يا همام! أى شيء تأمر فى ميراثك لأبيك؟ فنظر إلى مغضبًا وقال: أيتوارث أهل ملتين مختلفتين؟ قلت له أونحن ملتان مختلفتان؟ قال نعم: أنتم تزعمون أن الله قضى الخير، ولم يقض الشر، وأنا أقول: إن الله قضى الخير والشر. وأن من عذبه عذبه غير ظالم، ومن رحمه فرحمته وسعت كل شيء، رحمه الله تعالى.

***

بعيل أو جعبل المجنون

قال عبد الله بن محكم الحمصى سألت بعيلا وكان من أهل المحبة. متى يصبح للعبد الولاية؟ قال: إذا سبقت له العناية، وكان من مولاه فى كفاية. قال وسمعته يقول وقد سئل عن العارفين:

قوم لهم همم تسمو بهم أبدًا إلى جليل عظيم القدر غفار

قال جعفر بن عبد القادر المقدسى: سألت جعبلا عن حد الزهد، فقال: استصغار الدنيا. فلما وليت، دعانى فقال: هو محو الدنيا من القلب، قال وسمعته فى بعض الخرابات وقد خنقته العبرة وهو يقول:

يا رجائى وعصمتى ونائى ارحم اليوم ذلتى وبكائى

يا حبيبى ومؤنسى وعمادى وغياثى ومعقلى ورجائى

يوحنا المجنون

قال محمد بن عبد الرحمن: كنت أنا ووكيع بن الجراح بفناء دار بن صالح بالجبابة فطلع علينا عبادى[1] على حمار وهو من أهل الحيرة يقال له يوحنا، وكان ممروراً، وكانت مرثه تهيج تارة، وتسكن أخرى. فقلت لوكيع اسمع جواب العبادى. فلما حاذانا، قال له وكيع: يا يوحنا! لو نزلت وتحدثت معنا فى هذا الفناء الكثيب. قال يوحنا: يا أبا سفيان نعم المجلس لمن كفى أهله مصالحهم. فقال له وكيع: ناولنى خاتمك فناوله، فإذا عليه مكتوب العزة لله. محمد خير البرية، قال له وكيع يا يوحنا! ما تقول فى تقدمة أبى بكر وعمر؟ قال أقدمها فى الإمامة، ولا أقدمها فى المحبة. ثم أقبل على وكيع وقال: يا أبا سفيان وفى المحبة.

***

أبو علقمة المجنون

قال أبو زيد النحوى كنت أنا ورجل من قيس ومعه ابن له نريد الجمعة. وأبو علقمة على باب المسجد جالس. فقال الغلام لأبيه: أكلم أنا أبا علقمة. فقال لا، فأعاد عليه الغلام ثلاثًا فقال له أبوه: أنت أعلم، فقال الغلام يا أبا علقمة! ما بال لحى قيس قليلة خفيفة المؤنة، ولحى اليمن كبيرة عريضة شديدة المؤمة؟ قال: من قول الله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته . . والذى خبث لا يخرج إلا نكدا مثل لحية أبيك! قال فجذب القيسى يده من ابنه ودخل فى غمار الناس حياء وتسترًا.

---

(١) العباد: قوم من نصارى العرب من قبائل شتى اجتمعوا وانفردوا عن الناس فى قصور ابتنوها بظاهر الحيرة وتسموا بالعباد.

نمير المجنون

قال على بن ظبيان كان نمير من نستاك أهل الكوفة، وكان قد سمع سماعًا حسنًا. وكان مواظبًا على العبادات. فعرض له، فذهب عقله، وكان لا يأوى سقف بيت. فإذا كان النهار فهو فى جبانة القبور، وإذا كان الليل فهو فى وسط السطح قائمًا على رجليه فى البرد والمطر والرياح. وكنا فى بعض ما هو فيه من البرد والمطر والرياح، فنزل بكرة ذات يوم يريد المقابر فقلت يا نمير! تنام؟ قال لا، قلت: وما العلة التى منعتك من النوم؟ قال هذا البلاء الذى تراه بى. قلت له: يا نمير ما تخاف الله تقول البلاء؟ قال: أليس قد جاء فى الخبر أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل بالأمثل. فقلت أنت أعلم منى قال كلا ومضى.

سلمة المجنون

قال الحسن بن صالح قلت لسلمة يومًا من الأيام. يا سلمة! أتؤمن بالمعاد؟ ففتح عينيه وغضب وقال: نعم يا حسن كأنى أنظر إلى القيامة وقد قامت، وإلى كرسى القصاص وقد وضع كما شاء الله، وإلى الموازين قد نصبت، وإلى الصحف قد نشرت كما شاء، وكأنى أنظر إلى فريق فى الجنة، وفريق فى السعير، ولكن يا حسن اتق الله ولا ترد أمر الله. فقال له الحسن: وكيف أرد أمر الله؟ فقال: إنكم معاشر الشيعة تزعمون أن أبا بكر وعمر إماما عدل وقد قال الله فى كتابه العزيز إن الله يأمر بالعدل والإحسان فتوليه أبى بكر وعمر من عدل الله الذى أمر به فإن لقيت الله بهذه المقالة لقيته وأنت من الخاسرين. قال عثمان وقلت له يومًا: ادع الله لى. فقال: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾. ثم قال يا عثمان! إن الله سبحانه لم يخص أحداً، ولم يحصرها عن أحد، فيا من أمر بذلك هب لنا ولعثمان العافية فى الدنيا والآخرة.

* * *

عشرة المدنى المجنون

كان رجلا عجميًا وكان يجلس تحت دار سعيد بن العاص فمر به يومًا إبان بن عثمان متولى الشرطة. فقال لصاحب بابه: احجب الناس من بين يدى، ومن خلفى. ودنا إلى عشرة المدنى وكان إذا قيل له يا عشرة! تجرد. فقال له إبان بن عثمان: يا عشرة! فلم يتكلم فالح عليه فمسك لحيته بيده وتكلم بالفارسية: يا ريش[1]! وكان اللحم إذا فسد داويناه بالملح، فإذا فسد الملح بأى شىء يداوى؟ قال إبان بن عثمان: إذا كان الأمر على ذلك: فمن عاد صلح له بهذا الاسم يعنى عشرة جلدته بكذا وكذا سوطًا.

* * *

سابق المجنون

قال أبو هاشم إسرائيل بن محمد القاضى: كان بالمهرجان[2] معتوه يقال له: سابق، وكان متوحشًا مأواه الخرابات والمقابر والغياض. وكنت أحب أن

---

(١) ريش: كلمة فارسية معناها اللحية.

(٢) لعله أرجان.

أراه وأكلمه، فأتيته يومًا بالمقابر وقد وضع رأسه على قبر، فلم يشعر فى حتى سلمت عليه. فقال: وعليكم السلام. ثم هبته، فرفع رأسه إلى وقال لى: يا إسرائيل! خف الله خوفًا لا يشغلك عن الرجاء. فإنك إن ألزمت قلبك الرجاء يشغلك عن الخوف. وفر إلى الله، ولا تفر منه، فإن يدركك ولن تعجزه، ولا تطع المخلوق فى معصية الخالق. واعلم أن لله يومًا تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء. ثم قام فدخل الخرابات. فعدت إليه بعد شهر، فلما أبصرنى هرب، فقلت له يا سابق لا أعود إليك بعدها، فوقف فقلت: علمنى كلمات أدعو بهن. فقال: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس، ثم قال: قل اللهم اجعل نظرى عبرة، وسكوتى فكرة، وكلامى ذكرًا. ثم تخطى حائطًا من الخرب ومضى.

قال خلف بن سالم: قلت له يومًا يا أبا على ألك مأوى؟ قال نعم: قلت فأين هو؟ قال دار يستوى فيها العزيز والذليل. قلت وأين هذه الدار؟ قال المقابر. قلت له. يا أبا على أما تسوحش فى ظلمة الليل ووحشته؟ قال: إنى أذكر ظلمة اللحد ووحشته، فيهون على ظلمة الليل ووحشته. فقلت له: فهل ترى فى المقابر شيئًا تكرهه؟ قال أرى، ولكن فى هول ما يشغل عن هول المقابر أعاذنا الله تعالى.

***

أبو جوالق المجنون

قال بعضهم: خرج أبو جوالق يومًا فلقيه بعض أصدقائه فقال: إلى أين يا أبو جوالق؟ فقال أشترى حمارًا. فقال له صديقه: قل إن شاء الله فقال: ما هذا موضع إن شاء الله. الدراهم فى كمى، والحمار فى السوق. قال ومضى

إلى السوق فسرقت منه دراهمه. فعاد فرآه صديقه حزينًا فقال له: اشتريت الحمار؟ فقال له: سرقت الدراهم إن شاء الله.

***

ثوبان القرميني المجنون

قال إسماعيل بن وهب: ركبت يومًا في مركب من البصرة أريد سيراف. فهاج البحر بريح شديدة، وكان معنا في المركب ثوبان القرميني، فلحظ السماء بطرفه وقال: أقسمت عليك يا مأوى همم العارفين، إلا كشفت عنا الأذى. فما استتم الكلام حتى سكنت الريح، ونجونا. وروى عنه أنه كان إذا جنه الليل، يناجي ربه ويقول:

يا سروري منيتي وعمادي ... وأنيسي وبغيتي ومرادي

أنت روح الفؤاد أنت رجائي ... أنت لي مؤنس وشوقك زادي

***

أبو الصقر المجنون

قال بكر بن سليمان: مررت يومًا بأبي الصقر فقال لي: أمعك سيورجه[1]؟ قلت وما تريد؟ قال أملي عليك شيئًا قلت نعم. فأخرجت لوحًا كان معي فقال اكتب:

إنما إلى الله وأنا بته ... يرتفع الناس وأنحط

قد صرت نطوًا[2] في فراش الهوى ... كأني من فوقه خط

---

(١) سيورجه. لعلها سبتورة كتومة جريدة من الألواح يكتب عليها فإذا استغنوا عنها محوها.

(٢) لعله أطوى.

سلمة الموصلى المجنون

قال نعيم الخشاب: كان سلمة الموصلى أديبًا ظريفًا قبل أن خولط. فماتت له زوجة فخولط. فمررت به ذات يوم وهو يقول لبعض أصدقائه: عليك بقصر الأمل، والاختلاع من الحول والقوة والقدرة، ووكل الأمور إلى خالقها ومدبرها تسترجع[1] وإياك والكسل فإن أخته أليم شديد. وسمعته يومًا ينشد وهو واقف على قبر:

حسب الخليلين أن الأرض بينهما هذا عليها وهذا تحتها بالى

قال نعيم: وكان يجلس عندى فى بعض الأحيان فأطعمه وأشبهه، فقلت له يومًا: يا سلمة ما الفرق بين الفعال والفعال؟ فقال الفعال العيار فى المصنوعات وهى عام، والفعال فى المكارم وهى خاص. قال وكان عندى ليلة فأراد الخروج فهبت ريح شديدة فقال يا غلام هات الهلة[2] قلت وما الهلة قال بيت المستراح.

* * *

ولهان المجنون

كان مجنونًا ذاهب العقل قال ذو النون المصرى: رأيت والهان يومًا وهو يطوف حول البيت وهو يقول: شوقك قتلنى، وحبك أقلقنى، والاتصال بك أسقمنى، فقدت قلبًا يحب غيرك، وثكلت خواطرًا تسر بسواك.

وحكى كل من يراه يهابه من سلطان أو غيره. وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وكان يقول: يا أيها الناس تزودوا ليوم الدين، يوم تنشر فيه

---

(١) لعله يستريح. (٢) الهلة أى المسرجة.

الدواوين، وتنصب فيه الموازين، وينتصف فيه المظلومون من الظالمين. اعملوا، فى الأيام تراخ، وفى النفس مهلة، قبل أن تؤخذوا على غرة.

* * *

بكار المجنون

قال إدريس بن عبد الرحمن: خرجت يومًا من الجامع أريد الرجوع إلى منزلى، وإذا أنا ببكار المجنون وهو قائم فى السوق يقول:

﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾. فلا يزال كذلك فى مربعة مربعة حتى إذا أفلت الشمس نادى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾. ثم أنشأ يقول:

ولهت قلوب العارفين بحبه فتناشروا وتبايعوا الأعمال

قال على بن بكار: سمعت بكار المجنون فى جامع البصرة يقول: يا أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء. ولا تعبدوه رهبًا من نيرانه، ولا طمعًا فى جناته، بل عبودية واستحقاقًا.

* * *

نقرة المجنون

قال عبد الله بن محمد العتبى: بينا أنا ذات يوم فى صحن دارى إذ هجم على نقرة المجنون، فخفت منه ولمت: أنا بين ضربة ولطمة. فوقف فى جوارى وأنشأ يقول:

نظرت إلى الدنيا بعين مريضة وفكرة مغرور وتأميل جاهل
فقلت هى الدار التى ليس مثلها ونافست فيها فى غرور وباطل
وضيعت أيامى أمامى طويلة بلذة أيام فصار قلائل

ثم ولى هاربًا، فوثبت إلى الدواة وكتبت الأبيات، وأغلقت الباب.

***

سمنون المجنون

قال ابن فاتك: قلت لسمنون أى منزل إذا نزله العبد قام مقام العبادة؟ قال: إذا ترك التدبير. قال عن محبة الله إياك تسأل أو عن محبتك إياه؟ قلت عن صحبة الله لى. قال: لا تطيق الملائكة أن تسمع ذلك. فكيف تطيق أنت وأنشد سمنون:

لا لأنى أنساك أكثر ذكرا ك ولكن بذاك يجرى لسانى
أنت فى النفس والجوانح والفكـ ـر وأنت المنى وفوق الأمانى
فإذا أنت غبت عنى عيانًا أبصرتك المنى بكل مكانى

وقال له بعض الخلفاء: يا سمنون كيف وصلت إليه؟ قال ما وصلت حتى عملت ستة أشياء. أمت ما كان حيا وهو النفس، وأحييت ما كان ميتًا وهو القلب، وشاهدت ما كان غائبًا وهى الآخرة، وغيبت ما كان شاهدًا وهى الدنيا، وأبقيت ما كان فانيًا وهو المراد، وأفنيت ما كان باقيًا وهو الهوى، واستوحشت مما يستأنسون، وأنست مما يستوحشون. ثم أنشد:

روحى إليك بكائها قد أجمعت لو أن فيك هلاكها ما أقعلت
تبكى عليك بكلها فى كلها حتى يقال من البكاء تقطعت

انظر إليـــهـــا نظرة بمودة فلربما منعتـهـا فـتـمنعت

وله أيضًا:

لطائف برك مـــا تنقـــضى وطاعـات خلقك ليست تضى

تقاضـــوك برا فـأوفـيـتـهم ولم يقتضوا لك ما يقتضى

ومـا تبصـر العـين يا سيـدى ســوى مـا تحب ومـا ترتضى

قال سمنون: أقمت مطروحًا على باب بنى شيبة سبعة أيام مهمومًا، فهتف بى هاتف فى آخر ليلى. من أخذ من الدنيا فوق ما يجزيه، أعمى الله عينى قلبه، وأنشد:

أجلك أن أشكو الهوى منك أننى أجلك أن نومى إليك الأصابع

فأصرف طرفى نحو غيرك عامداً على أنه بالرغم نحـوك راجع

قال: سئل سمنون أى الطعام أطيب؟ قال لقمة من ذكر الله، فى فم النفس بتوحيد الله، رفعتها من مائدة الرضا عن الله، عند حسن الظن بكرامة الله وأنشد:

حرام على قلب تحرم بالهوى بكون لغير الحق فيه نصيب

تفرد فيه فانفردت بحبه فصار على شاهد ورقيب

قيل له ما علامة من بقى له ربه، قال يا هذا اجعل قبرك خزانتك، وأحسنها من كل عمل صالح، فإذا وردت على ربك سرك ما ترى. وقال سمنون: رأيت إبليس فى المنام ولا شك أنه إبليس، فأخذ عصاى لأضربه، فهتف بى هاتف: هو لا يهرب من عصاك، وإنما يهرب من نور القلب وأنشد:

بين المحبين سر ليس ينسبه قول ولا قلم فى الخلق يحكيه
سر يمازحه أنس يقابله نور تحيز فى جو من التيه

وله أيضًا:

الحب شيء لطيف ليس يدركه عقل لإدراكه عز وتدبير
لكنه فى مجارى السر يعرفه أهل الإشارة غز لا كيف وتقدير

قال محمد بن عبد الله: سألت سمنون عن قول النبى ﷺ، روحوا القلوب تعى الذكر، فقال: معناه روحوا القلوب من هموم الدنيا تعى أذكار الآخرة.

قال إبراهيم بن فاتك: سئل سمنون معنى قول النبى ﷺ، المؤمن يأكل فى معى واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء. فقال واحد منها طبع، وستة حرص، فالمؤمن يأكل بمعى الطبع، والكافر يأكل بأمهاء الحرص، وأنشد فى المعنى:

لئن أمسيت فى ثوبى عديم لقد بلينا على حر كريم
فلا يحزنك أن أبصرت حالا مغيرة عن الحال القديم
فلى نفس ستذهب أو سترقى لعمرك أبى فى أمر جسيم

قال سمنون رأيت راهبًا فى صومعة. فقلت له كم لك فى هذه الصومعة؟ فقال منذ ثلاثين سنة. فقلت ما أفادتك الخلوة. قال ويحك! هل رأيت وزيرًا يخرج سر أميره؟ ومما أنشد سمنون:

يا من فؤادى عليه موقوف وكل همى إليه مصروف
يا حسرة حسرة أموت بها إن لم يكن لى لديك معروف

وله أيضًا:

ألست لى عوضًا منى كفى شرفًا ... مما وراك لى حظ ومطلوب

رأيت أسباب راحاتى بها عطفى ... عن العزاء فصبرى فى مغلوب

لم أن أيوب فيقى بعض ضرك لى ... لضج من بعض ما لاقيت أيوب

وله أيضًا:

أفسدنى بهراك هل أصلحتنى ... لم أرض بعدك كائنًا من كانا

من ودنى قد كان ودك فوقه ... فتركتنى أتسخط الأخوانا

قال أبو نعيم الحافظ: سمنون هو ابن حمزة الخواص أبو الحسين، وقيل أبو بكر البصرى سكن بغداد ومات قبل الجنيد وسمى نفسه سمنون الكذاب بسبب أبياته التى قال فيها:

فليس لى فى سواك حظ ... فكيف ما شئت فامتحنى

فحصر بوله من ساعته فسمى سمنون الكذاب.

ومن شعره قوله:

وكان فؤادى خاليًا قبل حبكم ... وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح

فلما دعا قلبى هواك أجابه ... فلست أراه عن فنائك يبرح

رميت ببين منك إن كنت كاذبًا ... وإن كنت فى الدنيا بغيرك فرح

وإن كان شىء فى البلاد بأسرها ... إذا غبت من عينى بعينى يلمح

فإن شئت وأصلنى وإن شئت لا تصل ... فلست أرى قلبى لغيرك يصلح

عبيد المجنون

قال ذو النون أردت الخروج إلى بيت الله الحرام، فإذا أنا فى الطريق بفتى قد افترش التراب وتوسده، وهو يئن أنينًا شديداً، فقلت لرفيق كان معى. مر بنا نعود هذا العليل، فقال ما هو عليل، بل هو عبيد الجنون، فعدلت إليه، فإذا عليه جبة صوف خلق. قد أدخل رأسه فى جيبها، وهو يبكى ويقول:

يا طبيب السقام داوى اعتلالى فعليل الفؤاد ليس يعاد

حلف السقم لا يزايل قلبى أيزور الفؤاد منى اللحادا

ثم قال عجبت ممن خلقه الله بشريًا سويًا، وجعل له عقلا سنيا، وبصراً مضيا، كيف تهدى جوارحه، وكيف (تنوح)[1] جوائحة، ثم بكى وقال:

قطعوا الليالى فى الظلام فأعقبوا يوم المعاد تحية وسلامًا

***

عبدان المجنون

قال عمرو بن مدرك مر عبدان المجنون يومًا بقوم من بنى تيم الله بن ثعلبة، فعبثوا به وآذوه. فقال يا بنى تيم الله، ما أعلم ما فى الدنيا خير منكم. قالوا وكيف ذاك؟ قال بنو أسد ليس فيهم مجنون غيرى وقد قيدونى وسلسلونى. وكلكم مجانين ليس فيكم مقيد واحد.

---

(١) فى الأصل تلوح.

صباح الموسوس

قال محمد بن المغيرة وقف صباح الموسوس على قوم فسألهم شيئًا فردوه فولى وهو يقول:

أسأت إذ أحسنت ظنى بكم والحزم سوء الظن بالناس

قال محمد بن المغيرة: مر صباح بقوم فظن بهم خيرًا فردوه وكانوا سبعة. فسأل أحدهم فقال ما اسمك؟ قال غليظ، وقال للثانى ما اسمك؟ فقال الخشن، فقال للثالث وأنت؟ فقال وعر، فقال للرابع وأنت؟ فقال شداد، فقال للخامس وأنت؟ فقال رداد، فقال للسادس وأنت؟ فقال ظالم، فقال للسابع وأنت؟ فقال لاطم. قال صباح وأين مالك؟ قالوا ومن مالك؟ يا مجنون! قال ألستم خزنة النار؟ الغلاظ الشداد!

* * *

شقران المجنون

قال أبو عثمان الواسطى خرجنا غزاة فى الصائفة، فنحن فى بعض الثغور، إذ رأيت الناس مزدحمين: فجئت فإذا أنا بمجنون يقال له شقران، وهو يقول الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها، والآخرة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. وسمعته مرة أخرى يقول الدنيا دار زوال وانتقال واضمحلال. والآخرة دار جلال وجمال وكمال. قال وسألته من الحكيم؟ فقال من لا يتعرض للعذاب الأليم. قلت وما العذاب الأليم؟ قال البعد عن الكريم.

هتاهية المجنون

قال محمد بن إبراهيم قال لى أبى كان عندنا مجنون يقال له هتاهية. يجن ستة أشهر، فيكون فى إفاقته ساكنًا، وإذا هاج أكثر الكلام وصعد إلى السطوح. ويقول يا نيام! انتبهوا من رقدة الغفلة، قبل انقطاع المهلة، واعملوا فى إعداد العدة، قبل انقضاء المدة، واعملوا إن أحبالكم مقصوصة، وأعمالكم محفوظة، والموت يأتى بغتة.

* * *

بكار العريان المجنون

قال أبو يعقوب السوسى رأيت ببلد مجنونًا يقال له بكار العريان. على سوءته خرقة، وبيده قصبته على رأسها كالعلم، وهو يعدو ويقول:

كفى حزنًا إنى مقيم ببلدة ... أحبائى عنها نازحون بعيد

أقلب طرقى فى البلاد ولا أرى ... وجود أحبائى الذين أريد

قال قلت ومن أحباؤك؟ فأخذ بيدى وأدخلنى المقابر وأشر إليها، وقال هؤلاء.

* * *

شيبان المجنون

قال سالم خادم ذى النون بينا أنا أسير مع ذى النون فى جبل لبنان، إذ قال لى مكانك يا سالم لا تبرح حتى أعود إليك، فغاب عنى ثلاثة أيام، وأنا أتعيش[1] فى نبات الأرض وبقولها، وأشرب من غدرانها. ثم عاد بعد ثلاثة

(١) فى الأصل انغمس.

أيام مغبر اللون حائرًا، فلما رآنى عادت إليه نفسه. فقلت له أين كنت؟ قال إنى دخلت كهفًا من كهوف الجبل، فرأيت رجلا أغبر أشعث، نحيلا نحيفًا. كأنما أخرج من حفرته وهو يصلى، فلما قضى صلاته سلمت عليه، رد على السلام وقام إلى الصلاة، فما زال يركع ويسجد حتى قرب العصر، فصلى العصر واستند إلى حجر بحذاء المحراب فسبح. فقلت يرحمك الله توصينى بشىء أو تدعو لى بدعوة. فقال يا بنى آنسك الله بقربه وسكت. فقلت زدنى. فقال يا بنى من آنسه الله بقربه أعطاه أربع خصال. عزا من غير عشيرة، وعلمًا من غير طلب، وغنى من غير مال، وأنسًا من غير جماعة. ثم شهق شهقة فلم يفق إلى الغد حتى توهمت أنه ميت. ثم أفاق فقام فتوضأ. وقال يا بنى كم فاتنى من الصلاة؟ قلت ثلاث فقضاها. ثم قال إن ذكر الحبيب هيج شوقى، وأزال عقلى، قلت إنى راجع فزدنى. قال أحب مولاك، ولا ترد لحبه بديلا. فإن المحبين لله هم تيجان العباد، وزين البلاد، ثم صرخ صرخة فحركته فإذا هو ميت. فما كان إلا بعد هنيهة إذا بجماعة من العباد منحدرين من الجبل، فصلوا عليه وواروه. فقلت ما اسم هذا الشيخ؟ قالوا شيبان المجنون. قال سالم فسألت أهل الشام عنه. فقالوا كان مجنونًا هرب من أذى الصبيان. فقلت هل تعرفون من كلامه شيئًا. فقالوا نعم كان إذا خرج إلى الصحراء يقول: فإذا لم أجن يا إلهى فبمن؟ وربما قال لم أجن بك فبمن؟

* * *

عفان الموسوس

قال الأصمعى قيل لعفان الموسوس لم لا تتعالج لما بك؟ فقال قصر الرشا، وطالت البئر، وابن الملتقى؟

* * *

لقيط المصرى المجنون

قال ذو النون المصرى مررت ذات يوم بلقيط المصرى، وهو يخط على الأرض بإصبعه، فتأملت فإذا هو قد كتب:

قل حبـاء الناس من ربهم ... وكليم يظهر لقواه

ليس ينال المرء من دينه ... ما نال فى عاجل دنياه

يخاف إن يمقته أهله ... ولا يبالى مقت مولاه

وعابد[1] الله يرى بره ... فى كل ما سر وما ساه

همته فى كل أسبابه ... رضوان ذى العزة مولاه

* * *

ميمون الواسطى المجنون

قال المسيب بن شريك بلغنى أن ميمون الواسطى المجنون أدخل على الحجاج ابن يوسف - وكان ميمون باليغًا عابدًا - فقال له الحجاج: أتجن[2] أهل مثل هذا الكلام وتسمى مجنونًا؟ فقال يا حجاج! إن أهل البطالة إذا

---

(١) فى الأصل (وعامل).

(٢) كذا.

نظروا لأهل المحبة سموهم مجانين وقد سبق القول منهم، لو رأيتموهم لقلتم مجانين، ولو رأوكم لقالوا: لا تؤمنون بيوم الحساب، وأنت يا حجاج! لو كنت تؤمن بالله واليوم الآخر بكلية قلبك، لشغلك عن أكل الطيب، ولبس اللين، ولكنه استقذرك، فطردك، ولو أرادك لاستعملك. إن لله عباداً مطهرين مطيعين، بالعبادة مشتغلين، وهم ثلاثة أصناف: فقومًا عبدوه شوقًا إليه، فقلوبهم لا تشتغل بغيره، لأن قلوبهم قد ألفت، وسقاهم ربهم بكأس الوداد شربة فقاموا شوقًا، فلا تحبط رحالهم إلا فى قرب الله. فهم خاصته فى أرضه. وقومًا عبدوه خوفًا من النار، لما سمعوا قوله تعالى: ﴿قو أنفسكم وأهليكم نارًا﴾. فجذروا وبادروا واجتهدوا خوفًا من النار. من تحتهم، ومن فوقهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم. فالأفاعى تلسعهم، والعقارب تلذعهم، كلما استغاثوا جدد لهم العذاب، وهو عدل من الرحمن. وقومًا عبدوه طمعًا فى الجنة دار أوليائه، ومحل أصفيائه. لما سمعوا قوله تعالى ﴿سلام عليكم صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ فصبروا على الألم، حتى استوجبوا الرضى، والعفو عما مضى، فقلوبهم تحن إلى جوار الله سبحانه، ليسكنهم فى قصور من فضة، وخيام مزينة، ومجالس متخذة، والحور أزواجهم، والطير يظلهم، والملائكة تخدمهم. فقال الحجاج يا ميمون! وصفت الجنة ولم تصف أزواجها يا أملس! فخرجت جارية معتدلة القامة، فى حسن تام، عليها قباء رقيق وهى تمشى وتخطر، ولها ذوائب قد جلت أكتفاها. فلما نظر إليها ميمون قال: ويحك يا حجاج! ما تصنع بهذه الجارية؟ ولها أجل مسمى، وأيام محصاة. ثم أخرج من كمه رغيفًا يابسًا فقال يا حجاج! انظر إلى هذا الرغيف ويبوسته، إن أطعمته جائعًا ملهوفًا رجوت الله أن يزوجنى جارية كأن الشمس تطلع من بين عينيها، وكأن الغنج يجرى فى حركاتها فأطرب،

وتكلمنى فأنعم، وأرجو أن أكون قد استوجبتها فى هذا الوقت. لقولى الحق، وتركى الهوى. قال الحجاج يا ميمون: امدحنى فأحسن جائزتك. قال يا حجاج! والله ما أعرف فيك خيراً فأقوله. وإن قلت ما أعرف فيك ذممتك، ولكن ما أذم الناس، لأن فى نفسى ما شغلنى من عيب غيرى. قال الحجاج: قد أمرت لك بأربعة آلاف درهم. قال: المال فرده إلى الموضع الذى سرق منه، ولا تكن لصا جواداً تجود به على من أن ذمك لا يضرك، وإن مدحك لا ينفعك. خلى سبيلى اسأل الله بقوت يغنى عن نوالك ونوال أضرابك. فخلى سبيله. وسيجىء باقى قصة ميمون معه.

* * *

طيورية المجنون

كان يحيى بن متمم الدوسى يقول: كان بدير العساقول مجنون يقال له طيورية وأخذه الشرط وهو يبول[1] على باب المسجد فضربوه. فقال: أرأيتم لو بال ههنا حمار أكنتم تضربونه؟ فهبونى حماراً فتركوه.

* * *

غورك المجنون

قال إسحاق بن إبراهيم الإيثلى: رأيت غورك المجنون يومًا خارجًا من الحمام أو الصبيان يؤذونه. فقلت ما خبرك يا أبا محمد؟ قال قد آذانى هؤلاء الصبيان، ما يكفينى ما أنا فيه من العشق والجنون؟ قلت: ما أظنك مجنونًا. قال بلى والله وبى عشق شديد. قلت: هل قلت فى حبك وجنونك شيئًا؟ قال: نعم وأنشد:

---

(١) فى الأصل. يقول.

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو فهذا له حد وهذا له حد

هما استوطنا قلبى وجسمى كلاهما فلم يبق لى قلب صحيح ولا جلد

وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا على مهجة إن لا يفارقها الجهد

فأى طبيب يستطيع بحيلة يعالج من دائبين ما متهما يد

قال محمد بن الزراد: قلت لغورك ما حيرك؟ قال جنون وعشق قد بليت بهما، والذى بليت به من هؤلاء الصبيان أشد. وقال:

جنون ليس يضبطه الحديد وحب لا يزول ولا يبيد

فجسمى بين ذاك وذا نحيل وقلبى بين ذاك وذا عميد

وقال أيضًا: رأيته يومًا وهو آخذ بيد المتهم به، فقال له المحبوب - رجاء الخلاص منه - كيف أصبحت؟ قال:

أصبحت منك على شفا جرف متعرضًا لموارد التلف

وأراك نحوى غير ملتفت متحرفًا عن غير متحرف

يا من أطال بهجرة أسفى أسفى عليك أشد من تلفى[1]

قال: وقلت لغورك يومًا أخبرنى بأحسن ما قلت فى الحب؟ قال:

كتمت جنونى وهو فى القلب كامن[2] فلما استوى والحب أغلبه الحب

وقلبى[3] والجسم الصحيح مذيبه فلما أذاب الجسم ذل له القلب

فجسمى نحيل للجنون وللهوى فهذا له نهب وهذا له نهب

---

(١) ويروى. كلفنى أشد من أسفى.

(٢) ويروى. أعلنه.

(٣) ويروى: وخلى.

قال جعفر بن إسماعيل: أتى غورك بطبيب يعالجه، فقال الطبيب: لو تركتنى لعالجتك وأصلحتك. فأنشأ غورك يقول:

اعلم وأيقن أيها المتكلم ... ما بى أجل من الجنون وأعظم

أنا عاشق فإن استطعت لعاشق ... برءاً مننت به فأنت محكم

حسبى عذابى فى الهوى حسبى به ... إذ من أهيم به يصد ويصرم

هيهات! أنت بغير دانى عالم ... وسواك بالداء الذى بى أعلم

دائى دسيس قد تضمنه الهوى ... تحت الجوانح ناره تتضرم[1]

وله أيضًا:

هلموا انظروا ما أورث الحب امله ... أحذركم شر الهوى وعواقبه

وأغرى بنفسى الشوق والهم والأسى ... فأرقنى بالليل أرعى كواكبه

* * *

عباس المجنون

قال محمد بن المبارك: صعدت جبل لبنان فإذا برجل عليه جبة من صوف مكتوب عليها: لا يباع ولا يوهب. قد ائتزر بمأزر الخشوع، وارتدى برداء الورع، وتعمم بعمامة التوكل. فلما رآنى استخفى وراء شجرة بلوط، فناشدته الله أن يظهر فظهر. فقلت كيف تصبر على الوحدة فى هذه القفار؟ فضحك وأنشأ يقول:

يا حبيب القلوب من لى سواكا ... ارحم اليوم مذنبًا قد أتاكا

---

(١) هذا البيت ساقط من الأصل.

أنت سـؤلى ومنيـتى وسـرورى قـد أبـى القلب أن يحب سـواكـا

يا مـرادى وسيـدى واعـمـادى طال شـوقى متى يـكون لقـاكـا

ليس سـؤلـى من الجنـان نعـيم غـيـر أنى أريـدها لأراكـا

ثم غـاب، وعدت مـرارًا فلم أره، فسـألت عنه فقـيل لى أنه العبـاس المجنون له أكلتان فى كل شهر من ثمر الشجر والعشب.

***

مان الموسوس

قال بكار بن على: عـزم صاحب الشرطة على فالتـمس منى من ينادمه فأشرت إليه بمان الموسـوس فأحضر، فأمر به فأدخل الحـمام، وألبس ثيابًا ثم أدخل عليه. فقال السلام عليك أيها الأمـير ورحمة الله. فقال وعليك السلام يا مان! قد آن لك أن تزورنا على شوقنا إليك. فقال أصلح الله الأمير الشوق شديد والمزار بعيـد والود عتيد، والحجاب صـعب والبواب فظ، ولو سهل لنا الأذن أسهلت الزيارة. فـقال مـحمد بن عـبد الله بن طاهر صـاحب الشرطة للحسـن بن طالوت: ما أحسـن ما يلفظ فى تسـهيل الأذن! فأمـره بالجلوس فجلس. ودعا مـحمد بجارية تسـقى بنوسة[1] جارية ابن المقرى وكان يحب سماعها، وكان أول ما غنت به:

ولست بناس إذ غـدوا فـتـحـملوا دموعى على الخديـن من شدة الوجد

وقـولى وقد زالت بعـينى حـولهم بواكـر تحـدى لا تكن آخر الـعهـد

فـقال مـان: أتأذن لى يا سيـدى؟ قـال فى أى شىء يا مان؟ قـال فى

(١) فى الأغانى اسمها منوسة.

استحسان ما أسمع، فقال أذنت لك فقل ما أحببت، فقال أحسنت! بحق لأمير إلا زدت هذين البيتين:

وكيف أناجى الفكر والدمع حائر ... بمقلة موقوف على الصبر والجهد

ولم يعدنى هذا الأمير بعدله ... على ظالم قد لج فى الهجر والصد

فقال له محمد: ومن أى شيء استعديت يا مان؟ فاستحيا وقال: لا من ظلم أيها الأمير ولكن الطرب حرك شوقًا كامنًا فظهر. وهل بعد الشيب من صبوة؟ ثم غنت بنوسة بشعر أبى العتاهية:

حجبوها عن الرياح لأنى ... قلت للريح بلغيها السلاما

لو رضوا بالحجاب هان ولكن ... منعوها يوم الرحيل الكلاما

فقال مان ما كان على قائل هذا الشعر لو زاد فيه هذين البيتين:

فتنفست ثم قلت لطيفى ... ويك لو زرت طيفها إلماما

حبها بالسلام سرا وإلا ... منعوها لشقوتى أن تناما

قال محمد: أحسنت يا مان! ثم غنت بنوسة بشعر أبى نواس:

يا خليلى ساعة لا تريما ... وعلى ذى صبابة فأقيما

ما مررنا بقصر زينب إلا ... فضح الدمع سرى المكتوما

فقال مان: والله لولا رهبة الأمير، لأضفت إلى هذين البيتين بيتين، لا يردان على سماع ذى لب فيصدرا إلا عن استحسان منه لهما. فقال الأمير محمد: الرغبة فى حسن ما تأتى به حائلة عن كل رهبة فقل ما بدا لك. فقال:

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخـ ـر بطرف لغادرته هشما

وإذا ما تبسمت خلت ما يبـ ـدو من الثغر لؤلؤا منظوما

قال محمد: أحسنت يا مان! فأجز هذين البيتين:

لم تطب اللذات إلا بما دارت به ألفاظ بنوسة

غنت غناء مظهراً[1] عبرة كانت بحسن الصبر محبوسة

فقال مان:

وكيف صبر النفس عن غادة تظلمها إن قلت: طاووسه

وجرت أن شبهتها بأنه في جنة الفردوس مغروسه

وغير عدل أن عدلنا بها لؤلؤة في البحر مغموسه[2]

جلت عن الوصف فما فكرة تدركها بالنعت محسوسه

فقالت بنوسه: قد وجب شكرى يا مان! فساعدك وهرك، وعطف عليك إلفك، وقارنك سرورك، وفارقك محذورك، والله يديم لنا ولك من ببقائه اجتمع شملنا، وطاب يومنا. ثم قال مان:

مدمن الإغضاء موصول ومديم العتب مملول[3]

ليس لي خل فيقطعني فارقت نفسي الأباطيل

---

(١) ويروى أطلقت.

(٢) ويروى جوهرة في التاج مغروسة.

(٣) رواية الأغاني:

مدمن التخفيف موصول ومطيل اللبث ممول

(أنا موصول بنعمة من حبله بالحمد موصول)

(أنا مشمول بمنة من منه فى الخلق مبذول)

أنا مغوك يزمرة من ربعه بالجود مأهول

ثم أومى إليه الحسن: إن قم، فنهض وهو يقول:

(ملك عن النظير له زانه الغر البهاليل)[1]

طاهرى فى مواكبه[2] عرفه فى الناس مبذول

دم من يشقى بصارمه مع هبوب الريح مطلول

فلما خرج قال محمد: ليست خساسة المرء بأنضاع حاله، ولا ينبو العين عن ناظره، بل يهذبه جوهره الذى الأدب مركب فيه. وما أخطأ صالح ابن عبد القدوس حيث يقول:

لا يعجبك من يصون ثيابه حذر الغبار وعرضه مبذول

ولربما افتقر الفتى فرأيته دنس الثياب وعرضه مغسول

وأنشد أبو محمد بن الحسين الوضاحى لمان:

لما رأيت البدر فى أفق السماء قد استقلا

ورأيت قرن الشمس فى أفق الغروب وقد تدلى

شبهت ذاك وهذه فأرى شبيههما أجلا

وجه الحبيب إذا بدا وقفا الحبيب إذا تولى

---

(١) الأبيات بين قوسين عن رواية الأغانى.

(٢) ويروى مركبه.

رزام المجنون

قال على بن عبد الملك: كان بطرسوس مجنون اسمه رزام. وكان إذا خرج المعسكر خرج مع الناس وأخذ سيفًا ودرقة، ولا يزال يلقى أعداء الدين، فإذا حصل فى الحرب زال عنه جنونه، فإذا انقضى القتال، فعاد إلى البلد، ورجع إلى جنونه.

***

مجانين الأعراب

جساس الموسوس

قال الأصمعى: قال عمى: دخلت بعض أحياء العرب فرأيت شيخًا موسوسًا يهذى، وقد اجتمع إليه الناس. فقلت من هذا؟ فقالوا جساس الموسوس لا يزال ينام ليله ونهاره، وربما ينتبه فزعًا فيجلس ساعة، ثم يصبح ويهيم على وجهه، ثم يعود إلى نومه. فبت ليلة هناك، وهو على الحال الذى وصفوه، فلما أصبحنا أتيته. فقلت ما اسمك يا شيخ؟ أنت أنوم من فهد. مالك تنام دهرك؟ فقال النوم لا تبعة على فيه، وفى مجالستك ومجالسة أضرابك تبعات. قلت وأى عليك فى مجالستى؟ قال أشتغل بك عمن أنشأنى، ثم أنشأ يقول:

لقد أغنيت عن هذا السؤال ... وعما أنت فيه من المقال

فإن كنت الغداء تريد قولا ... فما فيه رضى مولى الموالى

ثم عدا هائمًا على وجهه فى تلك الرمال قائلا: ما أكثر فضول أهل الحضر!

***

أوفى البدوى المجنون

قال المدايني: كان بمكة مجنون يقال له أوفى البدوى من مجانين الأعراب وكان يصلى الليل كله، فإذا أحس بالصبح رمى بطرفه إلى السماء وأنشأ يقول:

رب مكحـــول بمحلول الأزرق قلبـــه وقف بنيـــران الحـــرق

فكره فـى الـلـه فى أوقـــــاتـه وبـه يفـــــتح فـــــاه إن نطـق

***

مجنون من بنى سعد

قال الأصمـعى: بينما أنا قاعد عند مـحمد بن سليمـان الهاشمى والى البصرة إذ دخل عليه رجل فقال أصلح الله الأمير أن بالمريد[1] أعرابيا مجنونًا من بنى سـعـد لا يتكلم إلا بالشـعر، فـقـال على به، فـأتى به، فلمـا نظر الأعرابى إليه أنشأ يقول:

حياك رب الناس من أمـــير يا فاضل الأصل عظيم الخير

فقال محمد: وأنت فحياك الله يا أخا بنى سعد، فقال الأعرابى:

إنى أتانى الفارس الجلواز[2] والقلب قد طاربه اهتزاز

فقال الأمير إنما بعثنا إليك لنشترى ناقتك، فقال الأعرابى:

ما قال شيئًا فى شراء الناقة وقد أتى بالجهل والحماقة

قال الأمير وما الذى أتى؟ فقال:

قد شق سر بالى وشق بردتى وكان زيتى فى الملا ومجدتى[3]

فقال الأمير إذًا نخلع عليك، فقال الأعرابى:

---

(١) المريد. ساحة بالبصرة كـانت العرب تجتمع إليها فكانوا يتناشدون الأشعـار ويشترون كما يفعلون بسوق عكاظ. وتسمى عكاظ الإسلام.

(٢) الجلواز. الشرطى مأخوذ من الجلوزة وهى الخفة فى الذهاب والمجىء.

(٣) ويروى: وكان وجهى فى الملأ وزيتى.

نعمك الله وأرخى بالك وأكثر الله بنا أمثالك

فقال الأمير بكم اشتريتها؟ فقال:

شـــراؤها عـــشـــر ببطن مـكة من الدنـانيـر القـيـام السكة[1]

ولـــن أبـيـع الـــدهـــر وأزاد إنى لربح فى الشـراء مـعـتـاد

قال الأمير فبكم آخذها؟ فقال:

خذها بعشر وبخمس وازنه فإنها ناقة صدق مازنه

فقال الأمير بل تحط وتحسن فقال:

سبحان ربى ذو الجلال العالى تسال إحسانى وأنت الوالى

(قال الأمير فنأخذها منك ولا نعطيك شيئًا فقال:

فأين ربى ذو الجلال الأفضل إن أنت لم تخش الإله فافعل)[2]

فقال الأمير إنى أسألك إن تحط. فقال الأعرابى:

والله ما يجيرنى ما تعطى ولا يدانى الفقر منى حطى

فأمر له بألف درهم وثياب من خاصة ملبسه. فقال الأعرابى:

إنى رمـتنى نحـوك الفـجـاج[3] أبو عـيـال مـعـدم مـحـتـاج

طاوى المطى مع ضـيق الـعيش فـــأنبت الـله لـديـك ريشى

شـرفـتـنى منك بألـف حـاضـرة شـــرفك الله بـهـا فى الآخـــرة

---

(١) هذا البيت ساقط من الأصل.

(٢) الجملة والبيت ساقطان من الأصل.

(٣) الفجاج: الطريق الواسع بين جبلين.

وكسوة طاهرة حسان كساك ربى حلل الجنان

قال فضحك الأمير وقال من زعم أن هذا مجنون؟ وددت أنى كنت مثله.

* * *

أعرابى مجنون

قال العباس بن على الهاشمى كنت واليًا بمكة فجلست ذات يوم فى مسجد وعندى جماعة، فوقف بنا أعرابى وقال أيكم الأمير؟ فأشير إلى. فقال:

يا من ترفع بالإمارة طاغيًا اخفض عليك فللأمور زوال

فلئن أفادك ذا الزمان بصرفه فبصرفه تتقلب الأحوال!

* * *

أبو الشريك المجنون

قال الأصمعى بينا أنا ذات يوم عند والى البصرة إذ قيل مجنون بالباب يتكلم بالشعر. فقال ادخلوه فدخل، فإذا هو رجل كأنه نخلة سحوق، نتن الأطراف موسوس، فسلم على الأمير، فرد عليه السلام وقال من أنت؟ فقال:

إنى أنا أبو الشريك الشاعر من سأل عنى فأنا ابن الفاغر

فقال الوالى ما أمدحك لنفسى! فقال:

لأننى أرتجل ارتجالا ما شئت يا من ألبس الجمالا

قال الأصمعى فقال لى الأمير ما هذا مجنون. فألق عليه ما عندك فقلت له ما الريم؟ فقال:

الريم[1] فضل اللحم للجزار ينحره للفتية الأيسار[2]

فقلت ما الحلوان؟ فقال:

أليس ما يعطى على الكهانة والحر لا يقنع بالمهانة

فقلت ما الدكاع؟ فقال:

إن الدكاع هو سعال الماشية والله لا تخفى عليه خافية

قلت فما التولة؟ فقال:

عوذة عنق الطفل عندى توله وقد تسمى العنكبوت توله

قلت فما الرفه؟ فقال:

الرفه التبن[3] فسل ما شيتا لقد وجدت عالمًا خريتا[4]

قال الأصمعى فاستحييت من كثرة ما سألته. فقال قل لى:

ما الهلقس والسحساح والحمل الرواح لا يراح

قلت الهلقس الطمع للحريص، والسحساح الذى لا يستقر فى موضع والرواح الميزول فقال:

---

(١) الريم: عظم يفضل فيعطاه الجزار.

(٢) جمع يسر وهم القوم المجتمعون على لعب اليسر أى القار.

(٣) فى الأصل البين.

(٤) الخريت: الدليل الحاذق.

ما أنت إلا حافظ للعلم　　أحسنت ما قلت بغير فهم

فقال الوالى فـحبذا كل مجنون مثل هذا. ثم أمـر بعشرة آلاف درهم، فلما قدم إليه المال قال:

أكل هذا هو لى بمره　　ثم سرورى واعتراضى مسرة

ثم أقبل على الأمير فقال:

رشت جناحى يا أخا قريش　　أقررت عينى وأطبت عيشى

***

هبنقة المجنون[1]

قال عبد العزيز بن سعيد السيرافى قال لى أبى قد أنشد رجل هبنقة.

اهجر محل السوء لا تلم به　　وإذا نبا بك منزل فتحول

فقال هذا ما أحمق بيت قـالته العرب، وكيف يطيق أهل السجن النقلة؟ هلا قال:

إذا كنت فى دار يهينك أهلها　　ولم تك مكبولا بها فتحول

***

جارية سوداء

قـال بلال بن جمـاعة فكرت ذات ليـلة فقلت يا رب من زوجـتى فى الجنة؟ فأريت فى منامى ثلاث لـيال - أنها جارية سـوداء فى أوطاس. فأتيت

(١) هو يزيد بن ثروان ويكـنى بأبى الودعـات. لأنه نظم ودعًـا فى سلك وجـعله فى عنقـه علامة لنفسه لئلا يضيع! ونوادره مشهورة. وعده أيضًا صاحب العقد فى المجانين.

أوطاس فسألت عن الجارية فقال لى رجل يا هذا! تسأل عن جارية سوداء مجنونة كانت لى فأعتقتها؟ قلت وكيف كان جنونها؟ قال كانت تصوم النهار، فأعطيناها فطورها فتصدقت به، وكانت لا تهدأ بالليل ولا تنام، فضجرنا منها. قلت فأين هى؟ قال ترعى غنمًا للقوم فى الصحراء، فإذا أنا بها قائمة تصلى، فنظرت إلى الغنم فإذا ذئب يدلها على المرعى! وذئب يسوقها! فلما فرغت من صلاتها، سلمت عليها فقالت يا بلال! أنت زوجى فى الجنة. قلت قد رأيت ذلك فى النوم. قالت وأنا بشرت بك. فقلت ما هذه الذئاب مع الأغنام؟ قالت نعم أصلحت شأنى بينى وبينه، فأصلح بين الذئب والغنم!

***

عوسجة المجنونة

قال محمد بن المبارك الصورى خرجت حاجا، فإذا أنا بجارية سوداء يقال لها عوسجة بلا غطاء ولا وطاء. فسلمت عليها فردت السلام. ثم قالت أنت يا ابن المبارك على بطالتك بعد؟ قلت لها وكيف عرفتينى؟ فقالت أضاءت مصابيح الآمال، فى قلوب العمال. فنورت[1] جوارحى بنور الصفاء، فعرفتك بمعرفة من على العرش استوى. قلت وما الصفا؟ قالت ترك أخلاق الجفا. قلت بلا زاد ولا راحلة. قالت يا أعمى! أسألك عن مسألة، لو أتى أحدكم واستزاد خاله إلى منزله أيجعل أن يحمل معه زادًا؟ ثم أنشأت:

ارض بالله صاحبًا ... وذر الناس جانبًا

صافه الود شاهدًا ... كنت أو كنت غائبًا

لا تودن غيره ... ذا رفيقًا مصاحبًا

---

(١) فى الأصل. فتهورت.

قال صالح بن إسماعيل سمعت عوسجة وهى تطوف بالبيت الشريف تقول:

سرائر كتمان يبوح بها الهوى وإظهار وعد ما يراد سواه

قال عبد الرحمن الواسطى سمعت عوسجة ذات ليلة تقول:

جعل الظلام مطية لقيامه لينال وصلا ما يريد سواه

* * *

ريحانة المجنونة

قال إبراهيم بن الأدهم رحمه الله ذكرت لى ريحانة فخرجت إلى الأبلة، فإذا أنا بجارية سوداء قد أثر البكاء فى خديها خطا، فذاكرتها شيئًا من أمر الآخرة. فأنشأت تقول:

من كان راكب يوم ليس يأمنه وليلة تائهًا فى عقب دنياه

فكيف يلتذ عيشًا لا يطيب له وكيف تعرف عين الغمض عيناه

وأنشدت أيضًا:

صبرت عن اللذات حتى تولت وألزمت نفسى صبرها فاستمرت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن أطعمت تاقت ولا تسلت

ولها أيضًا:

وما عاشق الدنيا بناج من الردى ولا خارج منها بغير غليل

فكم ملك قد صفر الموت بيته وأخرج من ظل عليه ظليل

ولها أيضًا:

حسب المحب من الحبيب بعلمه ... إن المحب ببابه مطروح
والقلب فيه إن تنفس فى الدجى ... بسهام لوعات الهوى مجروح

وأنشدت أيضًا:

بوجهك لا تعذبنى فإنى ... أؤمل أن أفوز بخير دار
منجدة مزخرفة العلالى ... بها المأوى ونعم هى القرار
وأنت مجاور الأبرار فيها ... ولولا أنت ما طاب المزار

وأنشدت أيضًا:

اجعل لنفسك فى الليالى نبهة ... تنبهك من خلل المنسام قيام
وأنس إلى طول القيام مخلدا ... واترك لذاذ النوم والأحلام

وأيضًا:

تعود سهر الليل ... فإن النوم خسران
ولا تركن إلى الذنب ... فإن الذنب نيران
فكن للوحى دراسا ... وللقرآن أخدان
إذا ما الليل فاجأهم ... فهم فى الليل رهبان
يميلون كما مال ... من الأرباح أغصان

وأيضًا:

أرى الدنيا لمن هى فى يديه ... عذابًا كلما كبرت لديه
تهين المكرمات بها بصغر ... وتكرم كل من هانت[1] عليه

(١) فى الأصل: حانت.

إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما كنت محتاجًا إليه

* * *

آسية المجنونة

قال إبراهيم[1] ذكرت آسية لعبد الله بن طاهر، فدعى بها، فأدخلت عليه، فلزمت الصمت خمسة أيام. فقال لها عبد الله أخرساء انتر، مالك لا تنطقين؟ قالت ولكنى أقول:

قالوا نراك طويل الصمت قلت لهم ما طول صمتى من عى ومن خرس
الصمت أحمد فى الحالين عاقبة عندى وأحسن بى من منطق شكس
قالوا وأنت مصيب لست ذا خطاه فقلت هانوا أورنى وجه معتبس
أأنشر البر فيمن ليس يعرفه أم أنثر الدر بين العمى فى الغلس

* * *

حيونة المجنونة

قال راشد بن علقمة الأهوازى كانت حيونة إذا جنها الليل تقول فى دعائها. يا واحدى! تمنعنى بالليل التلاوة، ثم تقطعنى عنك فى ضياء النهار. آآهى! وددت أن النهار ليل حتى أتمتع بقربك.

قال سلام الأسود طلعت عليها الشمس يومًا فآذنتها فقالت:

إن كنت تعلم أننى بك واله فاصرف سموم الشمس عنى سيدى

قال فغمت السماء فى الوقت.

---

(١) لعله إبراهيم بن الأدهم المار ذكره.

قال سلام صامت حيونة حتى اسودت، فعوتبت فى ذلك فرفعت طرفها إلى السمـاء وقالت قد لامنى خلقك فى خـدمتك فوعرتك وجـلالك! لأخذ منك حتى لا يبقى لى عصب ولا قصب. ثم أنشأت تقول:

يا ذا الذى وعد الرضى لحبيبه أنت الذى ما إن سواك أريد

قال سلام الأسـود نظرت إليها فى يوم شديد الحـر. فقالت اسكت عند المبلغ تفرح الواردون، وعند العرض تنقطع الأسبـاب، وعند قوله خذوه تنشر إعلام العارفين.

***

زارت رابعة حيونة فلما كان جوف الليل حمل النوم على رابعة. فقامت إليها حيونـة فركلتها برجلها وهى تقول قومى قد جـاء عرس المهتدين. يا من زين عرائس الليل بنور التهجد.

قال سلام وقـفت حيونة يومًا على عبـد الواحد ثم نادت يا متكلم عن نفسك، والله لو مت ما تبعت جنازتك. قـال ولم؟ قالت تتكلم على الخليقة وتتقربين لهم. مـا شبهتك إلا بمعلم صبى علمه أن يحـفظ بالعشى فإذا بكر من بيت أمه نسى. فيـحتاج المعلم إلى ضربه. اذهب يا عبـد الواحد! اضرب نفـسك بدرة الأدب، وتزود زاد القناعة، واجـعل حظك مما أنت فيـه الكلام على نفسك، ثم تكلم على الخليـقة. قال سلام فلقد عرق عـبد الواحد وأقام ما يتكلم على الناس سنة. وأنشدت.

وليس للمـــيت فى قـبـــره فطـر ولا أضـحـى ولا عـشـــر

بـان من الأهـل عـلى قـــــربـه كـــذلك من مـسكنـه القـبـــر

قال سلام سمعت حيونة تقول: من أحب الله أنس. ومن أنس طرب. ومن طرب اشتاق. ومن اشتاق وله. ومن وله خدم. ومن خدم وصل. ومن وصل اتصل. ومن اتصل عرف. ومن عرف قرب. ومن قرب لم يرقد. وتسورت عليه بوارق الأحزان. وكانت تقول اللهم هب لى سكون قلبى يعقد الثقة بك. واجعل جميع خواطرى واثقة يرضاك. ولا تجعل حظى الحرمان منك. يا أمل الآملين! قال إبراهيم زارت ريحانة حيونة فلما جن الليل جاء المطر والريح الشديد، ففزعت ريحانة، فضحكت حيونة وقالت لها يا مدبرة العمل. لو علمت أن فى قلبى محبة غيره أو خوف سواه لو جأته بالسكين.

***

سلمونة المجنونة

قال سهل بن سعد: كانت عندنا بعبادان امرأة مجنونة اسمها سلمونة. وكانت تغيب شخصها بالنهار فلا ترى، فإذا كان الليل صعدت السطح وجعلت تنادى إلى الصباح سيدى ومولاى جنبتنى عن عقلى، وأوحشتنى عن خلقك وآنستنى بذكرك، وقد نفيت عن خلقك، فوا أسفا! إن نفيت عنك.

***

ميمونة المجنونة

قال إبراهيم بن الأدهم رأيت فى المنام كأن قائلا يقول: إن ميمونة السوداء زوجتك فى الجنة. قال فكنت أطلبها حتى وجدت أثرها بحمص. فطلبتها فقيل أنها مجنونة لا تألف أحداً. قلت فأين هى؟ قيل دفعنا إليها أغنامًا ترعاها فى الجبانة. فخرجت إلى الجبانة فإذا هى قائمة بمصلى، والشاة

والذئب فى مكان واحد فوقعت متعجبًا، فلما قضت الصلاة قالت يا إبراهيم! الموعد فى الجنة لا هنا. فعجبت من فطنتها فقلت يا سبحان الله! ألست مؤتمنة على هذه الأغنام؟ قالت بلى. قلت فلم عطلتيها حتى توسطتها[1] الذئاب؟ قالت سلمتها إلى منشئها. ثم قالت: ارتفعت الحشمة بينى وبين من أنا قائمة بين يديه. فهو الذى رفع الوحشة بين الشاة والذئاب ثم ولت وأنشأت تقول:

قلوب العارفين لها عيون ... ترى ما لا يراه الناظرونا

والسنة بسر قد تناجى ... تغيب عن الكرام الكاتبينا

وأجنحة تطير بغير ريش ... إلى ملكوت رب العالمينا

فتسقيها إشراب الصدق صرفًا ... وتشرب من كئوس العارفينا

***

بجة المجنونة

قال إسماعيل بن سملة بن كهل: كانت لى أخت أسن منى فذهب عقلها فكانت فى غرفة فى أقصى السطح. فمكثت بضع عشرة سنة وكانت مع ذلك تحرص على الطهور والصلاة وتنفقد الأوقات، وربما إذا غلبت على عقلها أيامًا فتحفظ ذلك حتى تقضيه. فبينما ذات ليلة إذا بباب بيتى يدق نصف الليل، فقلت من هذا؟ قالت بجة. فقلت أختى، قالت أختك. قلت ولبيك وقمت وفتحت الباب فدخلت ولا عهد لها بالبيت من أكثر من عشرين سنة، فقلت لها يا أختاه! خير. فقالت رأيت الليلة فى منامى فقيل لى السلام

(١) فى الأصل سوطها ولعل الصواب ما ذكرناه.

عليك يا بجة فرددت فقيل لى إن الله قد غفر لجدك وحفظك بأبيك إسماعيل فإن شئت دعوت الله فأذهب مـا بك، وإن شئت صبرت ولك الجنة. فإن أبا بكر وعمر قـد شفعا لك إلى الله بحبك أبيك وجدك وحـبكم إياهما. قالت فقلت إن كان لابد من اختيار أحدهمـا، فالصبر على ما أنا فيه، والجنة. وإن الله تعالى لواسع لخلقه لا يتعـاظمه شيء إن شاء جمعهما. قيل فقـد جمعها لك، ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعـمر رضى الله عنهما فقومى وانزلى. قال فأذهب الله ما كان بهـا وعادت إلى أحسن الحالات. وكانت إذا حضر إليها طبيب تقول: خـلوا بينى وبين طبيبى أشكو إليه بعض ما أجد من بلائى فلعله يكون عنده شفائى.

***

مجنونة

قال ذى النون: بينا أنا أسير فى طريق أنطاكيـة إذا بجارية مجنونة عليها جبـة صوف فقـالت ألست ذا النون؟ قلت بلى، وكيف عـرفتنى؟ قـالت فتق الحب بين قلبى وقلبك فعرفتك، ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت تاق قلب أوليـائه شوقًا إلـيه، فقـلوبهم مربوطة بسـلاسل الأنس ينظرون إليه بمـعارف الألبـاب، ثم قالت: أسـألك. قلت نعم. فقـالت: أى شيء السحـاء؟ قلت البذل والعطاء. قـالت هذا السخاء فى الدنيـا. فما السـخاء فى الدين؟ قلت المسارعة إلى طاعة الله. قالت: فإذا سارعت فى طاعته ترجو منه شيئًا؟ قلت نعم، بالواحدة عشرة. قالت مه[1] يا بطال! هذا فى الدين قبيح وإنما المسارعة فى الطاعة أن يطلع المولى على قلبك، وأنت لا تريد منه بديلا، ثم قالت إنى

(١) مه بمعنى اكفف.

أريد أن أقسم عليه منذ عشرين سنة فى طلب شهوة فأستحى منه مخافة أن أكون كأجير السوء يعمل للأجرة ولكنى أعمل تعظيمًا لهيبته.

***

مجنون

قال إسحاق بن أحمد الخزاعى عن أبيه قال: قدم هارون الرشيد مدينة الرقة وبها دير يقال له دير. زكى فلما أقبلت المواكب أشرف أهل الدير ينظرون وفيهم مجنون مسلسل، فلما أقبل هارون رمى المجنون بنفسه فقال يا أمير المؤمنين! قد قلت فيك ثلاثة أبيات فأنشدك، قال نعم. فقال:

لحظات طرفك فى العدى ... تعنيك عن سل السيوف

وعزيم رأيك فى النهى ... يكفيك عاقبة الصروف

وسيول كفك فى الندى ... بحر يفيض على الضعيف

ثم قال يا أمير المؤمنين! هات ثلاثة آلاف دينار أشترى بها كساء وتمراً فقال الرشيد تدفع إليه ثلاثة آلاف دينار، فحملت إلى أهله وأخرج من الدير وكان من أهل الشرف.

***

شيخ مجنون

قال سوار بن عبد الله القاضى: دخلت بعض حمامات البصرة، فقلت لصاحب الحمام فيه أحد؟ قال لا، إلا شيخ موسوس. فدخلت فإذا شيخ فقلت يا شيخ! ما حرفتك؟ قال أنا أبيع الكعاب والدوامات[1] من الصبيان

(١) الدوامة فلكة يرميها الصبى بخيط فتدوم على الأرض أى تدور على نفسها. ويسميها الأولاد "البلبل".

فقلت فى نفسى مع من وقعت. فقال لى الشيخ فما حرفتك؟ قلت لا أخبرك قال والله ما أنصفتنى سألتنى عن حرفتى فأخبرتك، وسألتك عن حرفتك فلم يخبرنى. فقلت أنا أنظر فيما بين الناس، وأمنع الظالم من المظلوم. قال الشيخ: ويقبلون منك، قلت من لم يقبل حبسته وأدبته، قال ومنك ذلك قلت نعم إن معى أعوانًا من السطان. قال الشيخ: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به، قال سوار فتصاغرت إلى نفسى.

* * *

مجنون

قال محمد بن يعقوب الأزدى عن أبيه دخلت دير هرقل فوجدت فيه مجنونًا مكبلا، فكلمته فوجدته أديبًا. فقلت ما الذى غيرك إلى ما أرى؟ فقال:

نظرت إليها فاستحلت بنظرة ... دمى ودمى غال فأرخصه الحب

وغاليت فى حبى لها ورأت دمى ... رخيصًا فمن هذين داخلها العجب

قال بعضهم لقيت بعض المجانين، فقلت له غنيم قال:

أرى اليوم يومًا قد تكاتف غيمه ... وأقتامه فاليوم لا شك ماطر

وقد حجبت فيه السحائب شمسه ... كما حجبت ورد الخدود المحاجر

* * *

مجنون

قال الجاحظ: رأيت مجنونًا بالكوفة فقال لى من أنت؟ قلت عمرو بن بحر الجاحظ. قال يزعم أهل البصرة أنك أعلمهم. قلت إن ذلك لقال. قال من أشعر الناس؟ قلت امرئ القيس. قال حيث يقول ماذا؟ قلت:

كأن قلوب الطير رطبًا يابسًا لدى وكرهًا العناب والحشف[1] الليالى

قال فأنا أشعر منه، قلت حيث تقول ماذا؟ قال حيث أقول:

كأن وراء الستر فوق فراشها قناديل زيت من ورام فرام[2]

فأينا أشعر؟ قلت أنت. قال فأيها أقوى الماء والريح؟ قلت الريح. قال لم تصب. قلت وكيف؟ قال يقع الثوب فى الماء فيبتل فى طرفة عين، ويبسط فى الريح فلا يجف إلا بعد ساعات. أصبت أم أخطأت؟ فقلت أصبت.

* * *

مجنون أسود

قال ذو النون: ركبت البحر ومعنا مجنون أسود ذاهب العقل فلما توسطنا البحر قال الملاح: زنوا الكراء، فوزنا حتى إذا بلغوا إليه فقالوا له زن فأنشأ يقول:

ليس القلوب تفوز أنس أنيسها فتحيرت بين المحبة والهوى

قال الملاح: زن، قال بعثنا إلى الخازن ليزن لك، قال وأين الخازن؟ قال فى البحر صيرفى خازن. قال ذو النون فبينا نحن فى ذلك إذ هاج موج عظيم

---

(١) الحشف: الردى من التمر.

(٢) القرام: الستر الملون.

فخرجت منه سمكة فاغرة فاها مملوء فوها دنانير، فجاءت حتى وقفت بقرب الأسود. فقال الأسود يا ملاح! خذها إليك وإياك أن تسرق فأخذ منها دينارًا، فلما خرجنا سألت عنه فقيل هذا مجنون لم يفطر منذ خمسين سنة، لا يطعم فى الشهر إلا مرة.

***

شاب مجنون

قال المبرد: دخلت دار المرضى فإذا بشاب مقيد إلى جدار. فقال لى من أنت وما حرفتك؟ فسكت. فنظر إلى المحبرة فى يدى، فقال أمن أهل الحديث وحملة الآثار؟ أم أهل الأدب والنحو؟ قلت من أهل الأدب والنحو. قال من أصحاب من؟ قلت من أصحاب أبى عثمان المازنى. قال فهل لك معرفة بصاحبه الذى قعد فى مكانه؟ قلت إنى به لعارف. قال ما سمعت فى نسبه؟ قلت يقولون أنه من ثمالة الأزد. قال أنه مطعون فيه. قلت لا. قال قد قال عبد الصمد فيه:

سألنا عن ثمالة كل حى ... فقال القائلون ومن ثماله

فقلت محمد بن يزيد منهم ... فقالوا: زدنا بهم جهالة

***

ولد مجنون

قال معقل بن على: كان عندنا بالمدينة رجل من ولد كثير بن الصلت حسن الوجه، نظيف الثياب، كثير المال، ملازمًا لمسجد رسول الله ﷺ. فغلبت عليه المرة، فأحرقته فذهب عقله، فكان بعد ذلك يجلس فى المزابل،

فمررت به ذات يوم. فقلت له يا ابن كثير! عز على ما أرى بك. فقال الحمد لله الذى لم يجعلنى ساخطًا لقضائه وقدره، يا أخا الأنصار روى أهل العراق أن عطاء الخراسانى كان يغازيهم فى سبيل الله، فيقوم الليل حتى إذا انفجر الصبح نادى بأعلى صوته يا عبد الرحمن بن يزيد! ويا هشام بن الغار! قومًا فصلينا، فإن مكابدة هذا الليل الطويل، خير من مقطعات النيران والسلاسل والأغلال، النجاة يا أخا الأنصار! فلعل ما أنا فيه بدل من النار.

* * *

مجنون

قال أبو القاسم الصوفى: دخلت البيمارستان بالبصرة فرأيت فى المجانين من تفرست[1] فيه فسلمت فرد على، فقلت ما هذا المكان؟ فقال رضى لى بهذا فلا يعارض فيما يريد، قلت: الذى يقول:

تعرف فى الفكر إذا ... رحله الشوق رحل
وحيث ما كان إذا ... أنزله الحب نزل
وهكذا أهل الهوى ... يلقون فى الحب الخبل
مختبل معتبر ... بهيم فى كل جبل
لو خطر الوهم به ... على التجنى لأعتدل

* * *

(١) فى الأصل: تسفرت.

فتى مجنون

قال أحمد بن يحيى: كان ببغداد فتى يجن ستة أشهر ويفيق ستة أشهر كما كان، فاستقبلنى يومًا فى بعض السكك فقال ثعلب! قلت نعم، قال فأنشدته:

وإذا مررت بقبره فأعقر به ... كوم[1] الهجان وكل طرف سابح

وأنضح جوانب قبره بدمائها ... حتى تكون أخا دم وذبائح

فتضاحك وسكتت ساعة، ثم قال: ألا قال:

اذهبا بى إن لم يكن لكما عقد سـ ... ـر[2] إلى ترب قبره واعقرانى

وانضحا من دمى عليه فقد كا ... ن دمى من نداه[3] لو تعلمان

ثم إنى بعد ذلك رأيته فتأملنى، وقال ثعلب! قلت نعم. قال أنشدنى فأنشدته:

أعار الجود نائله ... إذا ما ماله نقدا

وإن أسد شكا جبنًا ... أعار فؤاده الأسدا

ثم ضحك. ثم قال: ألا قال:

علم الجود الندى حتى إذا ... ما حكاه علم البأس الأسد

فله الجود مقر بالندى ... وله الليث مقر بالجلد

---

(١) فى الأصل كرم: والكوم. القطعة من الإبل.

(٢) فى الأصل: عقد.

(٣) فى الأصل: فداه.

رجل مجنون

قال أبو إسحاق الرملى: كان رجل كان رجل يشير إلى الحقائق، ويلحقه الوجد مع كل لحظة ولفظة. فغلب على عقله، فلقيته فى المقابر وهو ينشد:

قد ضل عقلى وذاب جسمى ... وصنت عهدى وخنت عهدك

لو قلت للنار عذبيه ... إذا ابتلانى أخفرت وعدك

لصرت فى قعرها أنادى ... إياك أبغى إياك وحدك

* * *

فتى مجنون

قال حيان بن على التونسى: ركبت بحر الصين فوقعت فى جزيرة فدخلت بعض سككها فقيل لى احذر، فإن هناك فتى مجنونًا، فبينما أنا واقف إذ خرج على فتى مدهوش، مرتديًا باشجابه، مؤتزرًا بأحزانه، وهو يقول: لك هطلت الآماق، ولك بكت الأحداق، وذكرك مشهور فى الآفاق، يا من ينعم بحبه لأهل الإشفاق، يا من يداوى جراحات أهل الوجد والاحتراق، فسلمت عليه فرد على، ثم أنشأ يقول:

وكن لربك ذا حب لتخدمه ... إن المحبين للأحباب خدام

قوم يبيتون من وجد ومن قلق ... ومن محبته فى الليل قوام

قد قطعوا الليل دهرًا فى محبته ... ما إن ترونهم بالليل نوام

مجنون

قال ابن جبلة الساوى: رأيت بالكوفة مجنونًا قد تمنطق بمنطقة عريضة عليها مكتوب:

حب ذى العرش سناء وشرف ... وهدايا وعطاء وتحف

فتهجد فى دجى الليل له ... لترى منه أعاجيب اللطف

* * *

مجنون فى دمشق

قال الحسن بن على بن جعفر الخياط بالكوفة سمعت أبى يقول: رأيت مجنونًا فى سوق دمشق وهو يقول:

يا غافلا مقبلا على أمله ... وجاهلا والنساء[1] فى عمله

كم نظرة لامرئ يسر بها ... لعلها منه منتهى أجله

* * *

شاب مجنون

قال الحسن بن على بن عبد الرحمن القناد قال: دخلت دار المرضى بالشام فرأيت شابا مسلسلا مغلولًا مستوقراً فقال يا شيخ إن رويتك أبياتًا تحفظها؟ قلت نعم. قال:

يا نفس قومى بى فقد نام الورى ... إن تفعلى خيراً فذو العرش يرى

وأنت يا عين دعى عنك الكرى ... عند الصباح يحمد القوم السرى

---

(١) من نسا الرجل إذا ترك عمله.

رجل مدهوش

قال سهل بن على الأنبارى: اجتمع قوم إلى المنصور فقالوا له: يا أبا السرى فى جوارنا رجل مدهوش، ذاهب العقل، لا ترى له صورة. فقال منصور: أوقفوا عليه، فأتوا به بابه ليلا فلما غارت النجوم وهدأت العيون سمعوه يقول:

طال القيام لهجمة النوام وتراك مطلعًا لطول مقامى

يا سيدى ومؤملى وموئقى من أجل حبك قد هجرت منامى

فأجابه منصور:

يا ذا الذى هجر الرقاد لربه أبشر بدار تحية وسلام

يوم القدوم عليه فى دار البقا يوم تزف إليه بالخدام

* * *

شيخ مجنون

قال محمد بن جعفر الطبيب الخافانى الطبرستانى دخلت دار المرضى ببغداد فإذا شيخ مقيد يبكى وقد خنقته العبرة. فقلت له مالك؟ فأنشأ يقول:

من كان أذنب ذنبًا فليدن منى قليلا

لعلنا نتباكى على الذنوب طويلا

* * *

مجنون

قال مهلهل بن على العنزى: كان عندنا فى عنزة مجنون يرمى ويضرب، فقلت له الآن ترمى وتشد فأنشا يقول:

ليس على فوت فائت أسف ... ولا ترانى عليه القوم ألتهف

ما قدر الله لى فليس له ... عنى إلى من سواى ينصرف

ومانع ما لديه قلت له ... لا ضير، فى الله منك لى خلف

***

شيخ مجنون

قالت بعضهم: دخلت دار المجانين وعلى شارة حسنة، وثياب فاخرة، فإذا شيخ مقيد مغلول، فجعلت أنظر إليه، فقال مه! أتعجب منى؟

أتعجب منى فى قيودى وأغلالى ... وأنت رضى البال فى العز ومال

فلا أنت تبقى بعد مال كسبته ... ولا أنا أبقى فى قيودى وأغلالى

***

شاب مجنون

قال أبو الحسن العنسى المؤدب. دخلت الموصل فبينا أنا ذات يوم فى أزقتها إذا صياح وجلبة، وإذا هى دار المجانين، فدخلت إليها فإذا شاب حسن شحط[1] فى الدم، فسلمت عليه فرد وقال من اين جئت؟ قلت من بالس. قال وأين تريد؟ قلت العراق، قال لى: أتعرف بنى فلان؟ وأشار إلى بيت

(١) شحط بالدم على المجهول: تضرج به وتمرغ فيه.

قلت نعم. قال لا صنع الله لهم، فهم الذين أدهشونى وأحلونى هنا. قلت: وما فعلوا؟ قال:

زموا المطايا واستقلوا ضحى ... ولم يبالوا قلب من تيموا

ما ضرهم والله يرعاهم ... لو ودعوا بالطرف أو سلموا

ما زلت أذرى الدمع فى إثرهم ... حتى جرى من بعدد معى دم

ما أنصفونى يوم قاموا ضحى ... ولم يفوا عهدى ولم يرحموا

***

شيخ مجنون

قال محمد بن عماد البغدادى: كان بجوار جنيد قدس سره شيخ مجنون، فلما مات جنيد رحمه الله وقف الشيخ المجنون على تل، ثم أنشأ يقول:

واحسرتا من فراق قوم ... هم المصابيح والحصون

والمزن والمدن والرواسى ... والخير والأدمن والسكون

لم تتغير لنا الليالى ... حتى توفيهم المنون

فكل جمر لنا قلوب ... وكل ماء لنا عيون

***

شاب مجنون

قال بعضهم: دخلت دار المجانين بالبصرة، فرأيت شابا أحسن الناس وجهًا، وقد قيد وغل، وكنت رأيته فى البزازين قبل ذلك صاحب نعمة. فقلت ما الذى دهاك؟ فأنشأ يقول:

تمطى على الدهر فى متن قوسه ... فرقنا منه بسهم شتات

فيا زمنًا ولى على رغم أهله ... ألا عد كما قد كنت مذ سنوات

***

غلام مجنون

قال الوليد بن عبد الرحمن السقاء يرملة: بينا أنا ذات ليلة فى منزلى، إذ طرق الباب طارق، فقلت من طرق الباب؟ فأنشأ يقول:

أنا الذى ألبسنى سيدى ... لما تعريت لباس الوداد

فصرت لا آوى إلى مؤنس ... إلا إلى مالك رق العباد

فخرجت فإذا أنا بغلام ذاهب العقل، هائم مجنون مستوفز، فدخل الدار وقال: آتنا غذاءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، فعلمت أنه جائع، فقدمت إليه شيئًا فأكل وشرب، ثم وثب إلى الباب وأنشأ يقول:

عليك اتكالى لا على الناس كلهم ... وأنت بحالى عالم لا تعلم

وأقسمت أنى كلما جعت سيدى ... ستفتح لى بابا فأسقى وأطعم

قال الوليد السبقاء: فقلت له توصينى بوصية فقال:

الزم الخوف مع الحزن ... وتقوى الله فأربح

وذر الدنيـــــــا مع الأخـ ـرى فـــتـــقـــوى اللـه أرجح
فـــاجـتـــهـد فى ظلمى الليـ ـل إذا مـــــا الليـل أجنـح
واســـــــأل اللـه ذنوبك فلعل اللـه يصـــــــفح

* * *

رجل مجنون

قال مالك بن دينار: مررت ببعض سكك البصرة، فإذا الصبيان يرمون رجلا بالحجارة ويقولون: هو يزعم أنه يرى ربه على الدوام. قال فزجرت عنه الصبيان، وقلت له: ما الذى يزعم هؤلاء؟ قال وما يزعمون؟ قلت يزعمون أنك تزعم ترى ربك على الدوام، فبكى، وقال والله! ما فقدته لما أطعته. ثم أنشأ يقول:

على بعـــدك لا يصـــبـــر من عـــــادته القـــــرب
ولا يقـــوى على هجـــرك من تيـــمـــــه الحطب
لئن لم ترك العـــــين من أبصـــــــرك القلب

* * *

ولبعض المجانين: احذروا الأقارب فإنهم العقاب، ثم قال: وأخبث العقارب، أقرب الأقارب. فربما لم يصدر عن العقلاء، ما صدر عن المجانين.

* * *

ولبعض المجانين:

تلذ الناس أن عمروا وعاشوا ... ومالى لذة فى طول عمرى
وما يغنى الجمال وحسن ثوبى ... إذا ما كنت أصرع كل شهر
بقيئى قد تلطخ حسن وجهى ... أبول فى الثياب ولست أدرى
فليت الله عاجلنى بموت ... ليكتم سوء حالى تحت قبرى

لآخر، وقد بال فى قميصه، والناس يبكون عليه ويقولون ما حالك؟ فقال:

أبكى الناظرون لسوء حالى ... ولا يكون عاقبة الليالى
وكم وجه جميل صار مثلى ... ولم يك مثل ذلك فى مثال
إذا عوفيت يا هذا فشكراً ... وعد مما ترى من سوء حالى

* * *

شيخ مجنون

قال ذو النون المصرى: رأيت شيخًا مجنونًا وعليه جبة صوف مكتوب عليها من ورائه:

حتى متى يا شيخ ما تستحى ... يراك مولاك مع الغافلين
ما تستحى منه وما ترعوى ... غطى خطاياك عن العالمين
نشاك بين الخلق فى منزه ... وأنت معكوف مع الفاسقين

وعلى كمه الأيسر مكتوب مؤخراً:

إن لله عبادًا ... كشفوا فيه القناعا
هل رأيتم خادمًا ... مل مولاه فضاعا

وعلى كمه الأيمن مكتوب مقدمًا:

عـجـبـت لمن ينام وذو المـعـالى ... ينـادى يا عـبـادى أنا البـذول

وهل يجـد الخـلائـق مـثل ربى ... وكل فـعـاله حـسن جـمـيل

تتمة الكم الأيسر:

سـوف أرويكم حـديثًـا ... قـد سـمـعناه سـمـاعـا

من دنى من ربه شـبـرًا ... دنـا منه ذراعـا

* * *

شاب مجنون

قال عـبد الله بن عبد العـزيز السامرى: مـررت بدير هرقل أنا وصديق لى. فقال لى: أدخل بنا لنرى من ملح المجـانين، فقلت ذلك إليك. فدخلنا وإذا بشاب مليح الوجه، حسن الـزى، قد أرجل[1] شعـره وكحل عـينيه، طراوة يعلوه حلاوة، مشـدود إلى سلسلة بجانب حائط. فلمـا بصر بنا قال: مرحـبًا بالوفد قـرب الله ما نأى منكما، بأبى أنـتما، قلنا: وأنت فـأمتع الله الخاصة والعامـة بقربك وآنس جماعة ذوى المروءة بشخـصك، وجعلنا وسائر من يحك فداءك. فقال: أحسن الله عن جـميل القول جزاءكما، وتولى عنى مكفأتكما. قلنا: فما تصنع فى هذا المكان الذى أنت لغيره أهل؟ فقال:

الـله يعلـم أننـى كـمـد ... لا أسـتطيع أبث مـا أجـد

نفـسـان لى نفـس تضـمنهـا ... بلـد وأخـرى حـازها بـلد

---

(١) رجل شعره أى سرحه.

(أمـا المقيـمـة ليس ينفـعـهـا صـبـر ولـيس بقـرهـا جلد[1])

وأظن غـائبـتى كـشـاهدتى وكـأنـهـا تجـد الـذى أجـد

ثم التفت إلينا فقال: هل أحسنت؟ قلنا له نعـم ما قصرت وولينا. فقال بأبى أنتما مـا أسرع ذهابكما[2] بالله أعيرانى أفهـامكما وأذهانكما قلنا هات فقال:

لما أناخـوا قـبـيل الصبح عيـرهم ورحلوها فـسـارت بالهـوى الإبل

وقبلت من خـلال السجف ناظرها ترنو إلـى ودمع العـيـن منهـمل

وودعت ببنان عـقـده عـنم[3] ناديت لا حـملت رجلاك يا جـمل

ويلى من البـين مـاذا حل بى وبهـا يا نازح الـدر حل البـيـن وارتحلوا

يا راحل[4] العيس عرج كى أودعهم يا راحل العيس فى ترحالك الأجل

إنى على العـهد لم أنقض مـودتهم يا ليت شعرى بطول العـهد ما فعلوا

قلنا مجـونا منا - ولم نعلم بحقـيقة مـا وصف - ماتوا. قال أقـسمت عليكم ماتوا؟ ثم قال إنى والله ميت فـى أثرهم. ثم جذب نفسه فى السلسلة جذبة دلع منها لسانه، وبرزت عـيناه، وانبعثت شفتاه بالدماء، فـتبلط ساعة، ثم مات. فلا ننسى ندامتنا على ما صنعنا به.

***

(١) زاد هذا البيت صاحب العقد فزدناه هنا.

(٢) فى الأصل حالكما.

(٣) العنم شجرة ثمرة حمراء يشبه البنان المخضوب.

(٤) ويزوى يا حادى.

أديب عاشق

قال الريان على الأديب: عشق فتى من أولاد بعض أصدقائى جارية لبعض الأشراف. فأنحله العشق وأضناه، وتيمه وأتلفه. فمررت به يومًا فى بعض الخرابات، فقلت له كيف حالك؟ فقال أسوء حال. عقل هائم، وغم لازم، وفكر دائم. ثم أنشأ يقول:

تيمنى حبها وأضنانى ... وفى بحار الهموم ألقانى

كيف احتيالى وليس لى جلد ... فى دفع ما بى وكشف أحزانى

يارب فاعطف بقلبها فعسى ... ترحم ضعفى وطول أشجانى

***

فتى مجنون

قال سهلان القاضى: بينما أنا سائر فى بعض الطرقات إذ مررت بفتى مجنون وبين يديه خلقان[1] فقال لى أين رأيت القافلة؟ قلت فى موضع كذا. قال آه من البين، آه من دواعى الحين، فقلت وما دهاك؟ فقال:

شيعتهم من حيث لم يعلموا ... ورحت والقلب بهم مغرم

سألتهم تسليمة منهم ... على إذ بانوا فما سلموا

ساروا ولم يرنوا لمستهتر ... ولم يبالوا قلب من تيموا

واستحسنوا ظلمى فمن أجلهم ... أحب قلبى كل من يظلم

---

(١) الخلقان الثياب البالية.

مجنون

قال على بن عبد الرحمن القناد: وصف لى مجنون بمصر ذو بديهة، فطلبته حتى ظفرت به، فكلمته فبكم مليا، ولم يرد على جوابًا، ثم نظرت إلى فروته فإذا عليها مكتوب:

عشرون ألف فتى ما منهم رجل ... إلا كألف فتى مقدامة بطل

أضحت مزادهم مملوءة أملا ... ففرغوها وأوكوها على الأجل[1]

***

شيخ مجنون

قال أبو الهذيل العلاف: رحلت من البصرة أريد العسكر[2] فمررت بدير هرقل فقلت لأدخلن هذا الدير لأرى ما فيه، فإذا شيخ حسن اللحية فى السلسلة فأدمت النظر إليه، فلما رآنى لا أرد بصرى عنه. قال لى معتزلى أنت؟ قلت نعم. قال إمامى؟ قلت نعم. قال تقول القرآن مخلوق؟ قلت نعم. قال كن أبا الهذيل العلاف قلت أنا أبا الهذيل. قال أسألك؟ قلت: سل. قال أخبرنى عن الرسول ﷺ أليس هو أمين فى السماء وفى الأرض؟ قلت بلى. قال أخبرنى عنه هل به خلة ميل أو حيف أو هوى؟ قلت لا. قال فأخبرنى عن رأيه أليس هو الذى لا يدخله زلل وشبهة، وهو المعصوم من التشبيه والريبة قلت بلى. قال فأخبرنى عمن هو دونه من الخلق. أليس

---

(١) فى الأصل وادمها من الأمل وهو غلط. وأوكى القربة شدها بالوكاء. والوكاء رباط القربة.

(٢) العسكر مدينة كانت على ضرقى دجلة بناها المعتصم وأسكن بها جنوده وتسمى سر من رأى وسامرا.

يدخلهم فى رأيهم الفساد والغفلة والهوى وأنهم أضداد فى كل شىء وإن كانوا اخياراً. قلت بلى. قال فلأى علة لم يقم لهم علمًا ينصبه بقوله هذا خليفتكم بعدى فلا تقتلوا. لمن يفعل هذا إلا لا يكون الاختلاف والفساد فى أمته؟ قلت معاذ الله أن يكون ذلك. قا لفلم تركهم وألجأهم إلى رأى من دونه فى الصفة، إذ لم يحب الاختلاف والتشتت؟ فسكت فلم أدر ما أقول له. فقال ما لك لا تحبب إلا تحسن؟ ثم تركته وخرجت، فلما رآنى موليًا نادانى الشيخ ارجع إلينا، فرجعت إليه. فقال أحسبك تريد الخليفة قلت نعم. قال إلا أن تصير إلى الخليفة اقضى لى حاجتى. فقتل وما هى؟ قال تكلم هذه الفاعلة امرأة صاحب الدير تطلقنى، فكلمتها فقالت عليه فى هذا ضرر، فلما رآها غير محببة قال فسلها أن تستوطنى، فسألتها فأجابت، فانصرفت عنه متعجبًا. فلما صرت إلى سر من رأى ودخلت على الواثق قال لى ما كان حالك فى سفرك؟ قلت أعجوبة يا أمير المؤمنين! لم أسمع بمثلها. فقال وما هى؟ فقصصت عليه حديث المجنون، فقال يحضر المجنون، فأحضر وأصلح من شأنه وأدخل عليه، فلما رآنى قال حاجتنا. قلت نعم. قال الواثق لمحمد بن مكحول كلمه. فقال المجنون يا أمير المؤمنين! هذا ليس يحسن شيئًا، فإن كان عندك من يحسن. قال الواثق فاسأل فإن المجلس مشترك، فمن كان يحسن أجابك. فسأل عن المسألة المذكورة فأحجم القوم عن الجواب، فالتفت إليه الواثق فقال ليس ههنا من يحب فأجب. فقال سخين العين أكون سائلا ومجيبًا فى وقت! فقال الواثق وما عليك أن تعلمنا. قال أما إذا كان كذا، فنعم إن الله سبحانه حكم فحكم فى خلقه ولم يكن بد من تعبدهم[1] وكان الاختلاف بينهم حكمة فى خلقه، إذ قد كاان حكم عليهم بذاك الاختلاف

(١) فى الأصل تبعيدهم.

قبل خلقهم فأحجم، ثم قام الواثق ليدخل الدار. فقال المجنون: يا ابن الفاعلة أخذت منفوعنا وفررت! فأمر بالإحسان إليه.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: الدنيا دار المرضى والناس فيها مرضى، وللمجانين فى دار المرضى شيئان: غل وقيد، ولنا غل الهوى، وقيد المعصية.

***

رجل مجنون

قال الأصمعي: ركب جعفر بن سليمان أمير البصرة فى زى عجيب من اللباس والغلمان والدواب والصقور[1] والفهود، وكان عندنا رجل بالبصرة بتفقه، وكان فى حداثة سنه يجالس العباد، فغلب على عقله، فخرج فى طريق جعفر فلما أبصره وقف وقال يا جعفر بن سليمان! انظر أى رجل تكون إذا خرجت من قبرك وحدك، وحملت على الصراط وحدك، وقدم إليك كتابك وحدك، ولم يغن عنك من الله شيئًا. يا جعفر إنك تموت وحدك، وتقف بين يدى الله وحدك، وتدخل قبرك وحدك، ويحاسبك الله وحدك، فانظر لنفسك. قد نصحت لك. فرجع جعفر من نزهته تلك، وسأل عن الرجل فقيل له مغلوب على أمره.

***

(١) فى الأصل والقصور.

معتوه مجنون

قال ضمرة بن ربيعة: وقف على معتوه فخنقني وقال تعلم. قلت خلص عن حلقي. فخلى يده ثم قال: الشر نذالة، والعفو كرم، والاستقصاء غم، وشفاء الغيظ بلية.

***

مجنون

قال محمد بن بيان: مرتت وإذا جماعة على مجنون وقوف، فوقفت فهش إلي وقال:

اسقني قبل تباريح العطش إن يومي يوم طس[1] بعد رش

حب من أهواهم أدهشني لا خلوت الدهر من ذاك الدهش

***

شاب مجنون

قال ثمالة بن أشرس: دخلت دير هرقل فرأيت فيه شابا مشدودًا إلى سارية. فقال لي ما اسمك؟ قلت ثمامة. قال المتكلم؟ قلت نعم. قال يا ثمامة! هل للنوم لذة؟ قلت نعم. قال متى يجدها صاحبها؟ إن قلت قبل النوم أجلت، وإن قلت مع النوم أخطأت، لأنه ذاهب العقل. وإن قلت بعد النوم أخطأت لأنه قد انقضى. قلت وما تقول؟ قال إن النعاس داء يحل بالبدن ودواؤه النوم.

---

(١) طسه في الماء غطه فيه.

شاب مجنون

دخل الأمير سعيد مع وزيره دار المرضى فإذا شاب مسلسل، فلما رأى الأمير قال له أيها الأمير! هذا وزيرك؟ قال نعم. قال يزعم أنه أعقل الناس فإن سألته مسألة. قال سله. قال ما أكثر الأشياء؟ قال ذوات الأربع قال ليس كذلك. قال فما هو؟ قال لا أقول حتى تقول بالعجز. قال قد أقررت. قال أكثر الأشياء الهموم. قال فلم؟ قال لأن نصيبى منها أوفر الانصباء. قا ل الأمير سل حاجتك. قال مسكة عقل أعيش به وأنجو من هذا القيد. قال ليس ذلك إلى. قال فلا حاجة لى فى سواه.

* * *

شيخ مجنون

قال جنيد البغدادى رحمه الله: دخلت دار المرضى بمصر فرأيت شيخًا فقال لى ما اسمك؟ قلت جنيد. قال عراقى. قلت نعم. قال ومن أهل المحبة؟ قلت نعم. قال فما الحب؟ قلت إيثار المحبوب على ما سواه. فقال الحب حبان حب لعلة، وحب علة. فأما الذى لعلة فرؤية الأحسان، وأما الذى لغير علة فلأنه أهل لأن يحب. ثم أنشد:

أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاكا

وأما الذى هو حب الهوى ... فحب شغلت به عن سواكا

فأما الذى أنت أهل له ... فلست أرى العيش حتى أراكا[1]

وأما الذى فلا عيش لى[2] ... ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

---

(١) ويروى (فكشفك للحجب حتى أراكا).

(٢) ويروى (فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى).

شيخ مجنون

قال أبو غسان الإسماعيلى: دخلت البصرة فرأيت شيخًا مجنونًا قد غلت يداه، وأحدق به الناس، فرحمته وازحت الناس عنه، فتنفس الصعداء واستعبر ثم قال:

لقد صبرت على المكروه أسمعه ... من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا

وفيك داريت أقوامًا أجاملهم ... لولاك ما كنت أدرى أنهم خلقوا

الحمد لله حمدًا لا شريك له ... كأننى بدعة من بين من عشقوا

* * *

مجنون

قال بعض السياح: دخلت مسجد البصرة فإذا فقير عليه أثر البؤس وهو يترنم فى نفسه، فإذا هو مجنون، فلما دنوت منه سكت. فقلت له أعد ما كنت تقوله؟ فقال ارتجالا:

أشار قلبى إليك كيما ... يرى الذى لا تراه عينى

وأنت تلقى على ضميرى ... حلاوة السؤال والتمنى

تريد منى اختبار سرى ... وقد علمت المراد منى

وليس لى فى سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرنى

* * *

روى أحمد عن عمران السوادى لبعض المجانين:

ولست بقوال الذى الزاد بقه ... فإنك إن لم تبق زادك ينفد

ولا ناظر فى وجهه ثم قائل إلا ال تصاحبنا إذ لم تزود

* * *

رجل مجنون

قال عمر بن عثمان الصوفى: دخلت جبال الشام وإذا أنا برجل فى كوخ، فأقمت عليه يومًا وليلة لم أسمع له كلامًا، فخرج من كوخه فرفع طرفه إلى السماء، وقال: قلبى بذلك أفأحسب[1] أن يألف قلبى غيرك؟ هيهات! لقد خاب لديك المقصرون؟ ثم قال: إلهى ما أحلى ذكرك! ألست الذى قصدك المؤملون؟ قالوا منك ما طلبوا. فقلت أصلحك الله إنى منتظرك منذ يوم وليلة أريد أن أسمع كلامك. قال قد رأيتك حين أقبلت ولم يذهب روعك من قلبى. قلت وما راعلك منى؟ قال فراغك فى يوم عملك، وبطالتك فى يوم شغلك. وتركك الزاد ليوم معادك، ومقامك على الظنون. فقلت إن الله سبحانه كريم، وما ظن به عبد شيئًا إلا أعطاه. قال نعم إذا وافقته السعادة والعمل الصالح. قلت أههنا فتية يستراح إليهم؟ قال نعم. قلت هل عندهم دواء يتعالجون به؟ قال إذا كلوا داووا الكلال بالكلال، وحثوا الحث[2] بالانخال، فتسكن العروق وتهدى الآلام.

مجنون

قال عبد الله بن حسان المزنى: مررت بمجنون مقيد، والصبيان يؤذونه، فقال أطرد عنى هؤلاء الأنذال، أفدك أبياتًا تسر بها، فطردتهم عنه فقال أنا جائع فأتيته بشىء فأكله وقلت له هات فقال:

---

(١) فى الأصل: فأخسر.

(٢) الحث: حطام التبن والخبز القفار. أى غير. مأدوم.

أصبر إذا عك الزمان ومن ... أصبر عند الزمان من رجليه

ولا تهن للصديق تكرمة ... نفسك كى لا تعد من خوله

يحمل أثقاله عليك كما ... يحمل أثقاله على جمله

ولست مستبقيًا أخا لك لا ... تصفح عما يكون من زلله

***

شاب مجنون

قال زياد النميرى: دخلت دار المجانين فإذا شاب حسن الوجه فى زاوية مشدود إلى جدار. فقال لى أتقرأ القرآن؟ نعم. قال فأقرأ فقرأت: ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز﴾ فقال أخبرنى ما معنى اللطيف؟ قلت البار الرفيق. قال هذا فى وصف الناس. قلت فما اللطيف؟ قال الذى يعرف بلا كيف!

***

مجنون

قال سكين بن موسى: كنت مجاوراً بمكة وكان بها مجنون ينطق بالحكم. فقلت له أين تأوى بالليل؟ فقال دار الغرباء. فقلت ما أعرف بمكة داراً يقال لها دار الغرباء. قال يا مسكين! دار الغرباء المقابر. فقلت ما تستوحش فى الليل وظلمته؟ قال إذا فكرت فى القبر ووحشته هان على الليل وظلمته.

***

قيل لبعض المجانين: لم سميت مجنونًا؟ فقال أنا مجنون عن معصيته لا عن معرفته.

وقيل لآخر: أنت مجنون؟ قال وأنت عاقل؟ كل الناس مجانين ولكن حظى صار أوفر.

وقيل لآخر: ما أر مجنونًا أعقل منك. قال الجنون ما أنت فيه، تأكل رزق الله، وتطيع عدوه.

وقيل لآخر: أغربت أنت؟ فقال أما عن عقلى فنعم، وأما عن البلاد فلا.

***

شاب مجنون

قال بعضهم: دخلت دار المجانين بنيسابور، فإذا شاب حسن من أبناء ذوى النعم مشدود وهو يصيح. فلما أبصرنى قال أترون من الشعر شيئًا؟ قلت نعم. من أى الشعر؟ قال من شعر البحترى. قلت من أى قصيدة أوريها؟ قال: أى قصيدة كانت. قلت:

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح　　أم ابتسامتها بالمنظر الصاحى

فأنشدته القصيدة. قال وأنا أنشدك قصيدة. قلت نعم. فأخذ حتى بلغ إلى قوله:

أقصراً ليس شأنى إلا قصار　　وأفلا لا ينفع الإكثار

إن جرى بيننا وبينك بعد　　أو تناؤت منا ومنك الديار

فالعليل الذى عهدت مقيم　　والدموع التى شهدت غزار

فنفر وجعل يرقص فى قيده ويصيح إلى أن سقط مغشيًا عليه!

* * *

موسوس

قال عبدان بن أحمد: كان بباب خراسان موسوس، وكان يجالس الحسين ابن منصور[1] وكان يدور فى المقابر ويأتى إلى الحسين بن منصور. فجاءه ذات يوم وعلى رأسه دوخله[2] والصبيان خلفه. فوقف وقال للحسين: متى أخرج من نفسى؟ متى آيس من نفسى؟ متى آنس بالإنس، واستأنس بالوحش، واستوحش من جنسى. فقال الحسين:

إذا وسوست فى الوقت من المأتم والعرس
شهدت النار والجنـ ـة والأفلاك والكرسى

* * *

أبو المبارك ميمون

قال لما رمى الحجاج بيت الله بالعذرة! وقتل ابن الزبير، أقبل رجل موسوس معتوه عليه عباءة قد شدها إلى عنقه، فطاف بالبيت سبعًا، ثم صعد إلى الحجر، فتكلم بصوت جهورى فأسمع الناس وقال: أيها الناس! من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى نبأته باسمى، أنا ميمون أبو المبارك المجنون فاسمعوا ما أقول لكم. فإنى متكلم ناطق؟ غير هائب ولا خائب، بل

---

(١) هو أبو مغيث الحلاج المتأله المشهور.

(٢) الدوخانة بتشديد اللام وتخفيفها سفينة من خوص يوضع فيها الثمر والسفينة النسيجة منه.

أقول بلسان صواب، ولا أخاف العقاب، بل أرجو الثواب من رب الأرباب، ذى المن والإفضال. إياه قصدت، وما عنده طلبت. ثم حمد الله فأحسن، ومجد فأكثر. ثم دعى دعوات وأعرب. فقال: اللهم لك سجدت الجباه ولك خضعت الأعناق، ولك ذلة الأرباب. وأنت خالق السماوات والأرض بلا تعب ولا مشورة لذوى الألباب. لم يعجز ما أردت ولا يفتك ما طلبت، ولم يخف عليك شيء لبعده، ولا زده فى معرفة شيء لقربه. تعلم خفيات الضمائر كما تعلم كل شيء بين. أما السموات فلك مذعنة، وأما الأرضون فملك مطيعة، وأما الأفلاك فلك مسجة. وأما الملائكة ففى عبادتك مجتهدة، وأما النبيون فلرسالتك مبلغة، وأما السحاب فبرحمتك مهطلة. والنار من خوفك تزفر وتفرق، والجنة مزينة بالحور والقصور. فيا من العدل قضاؤه ويا من الشكر رضاؤه، ويا من يتحلى فى الجنة لأوليائه قد تكلمت بلسان ينطق بحمدك، وبقلب يخشع لهيبتك، وجوارح أذعنت لعظمتك. فأسألك يا من قصده العباد من كل البلاد. رجاء الثواب وخوف العقبا. أسألك مسألة طالب قد رجاء الإجابة، وأيقن بقضاء الحاجة. ان تهلك الحجاج المتوثب على بيتك يرمى العذرة. والقاتل لأصحاب نبيك ﷺ المطهر من كل ريبة. اللهم! إذا ذكرت عبادك بالرحمة، فاذكره بأشد غضب وأكمل عطب، إنك أنت المستجيب للدعاء.

اللهم! هذا البيت بيتك، وهذا الحرم حرمك، وهذا حجر إسماعيل نبيك. اللهم! أنت ذو الجلال والإكرام.

ثم أتى منى والناس أجمع ما كانوا. فصلى صلاة الفجر ثم قام قائمًا على قدميه ثم قال: أيها الناس! ألبس إلى الله قصدتم وما عنده طلبتم؟ فإذا

سألتموه فابتهلوا. وإذا دعوتموه فأخضعوا. والحجاج فالعنوا فإنه نجس الولادة اللهم! فلا تنجه من سخطك احرمه رحمتك التى وسعت كل شىء. إنك ذو الجلال والإكرام. قال فاجتمع الناس إليه وقالوا له: أيها الرجل: من أين أنت؟ قال من بلاد الله. قالوا فأين تأوى؟ قال إلى أرض الله. قالوا: فما قصتك وقصة الحجاج؟ أظلمك بشىء؟ قال نعم. قالوا ماذا؟ قال: قصد بيت ربى فنجه، وقتل أصحاب محمد ﷺ وأهان. فوجبت اللعنة عليه، واستوجب منا العداوة. ولم أعرف موضعًا أجل من هذه الثنية. موضع ولد فيه محمد ﷺ وأصحابه. فأحببت أن أتعب نفسى من أجله وبالدعاء عليه. ثم مر يسحب كساءه، وقد تبين فيه أثر الجوع، فأتبعه رجل من التجارفقال السلام عليك يا أبا المبارك! قال وعليك السلام يا وافد الله! قال لى إليك حاجة. قال وما هى؟ قال تأتى منزلى فتأكل كسرة خبز وتشرب شربه من سويق. قال على شرط. قال وما شرطك؟ قال ألا تكون ظالمًا ولا عونًا لظالم. فما عملك؟ قال تاجر. قال أفما علمت أن رسول الله ﷺ قال: يحشر التجار فجارًا إلا من اتقى وبر وصدق. قال فإنى لا أمدح عند البيع ولا أذم عند الشرى. قال منك يا أخى طاب القرى. قال فأتى إلى رحله فأكل رغيفًا وملحًا ولم يزد عليه بشىء. ثم قال يا أخى! عليك بأكل الخبز والملح. فإنه يذوب شحم الكلى. قال فقلت يا أخى! أوصنى. قال خف الله خفو حذر، وارجه رجاء متملق، وعليك بأكل الحلال، وبذل النوال لأهل الأقلال، وادخل الجنة بسلام. قال فأعجبنى ما سمعت من قوله. قال فلما انقضى الموسم أقبل أصحاب الحجاج إلى الحجاج وأخبروه بخبر ميمون وقالوا ما منعنا من أخذه إلا العامة وجبلتهم. والغوغاء وضجتهم. قال فدعى الحجاج بقائد من قواده من خاصة أصحابه. وقال سر فى البلاد واطلب هذا

الرجل، ولك الجباء والجائزة. قال فأتعبوا أبدانهم وأحفوا دوابهم فى طلب ميمون. وهو من أهل الكوفة ومسكنه بها. فدخل القائد الكوفة. فإذا هو جالس على مزبلة والصبيان حوله وهو يقول لهم، إنه لم تجر عليكم الأقلام، ولم تكتب عليكم الآثام، فانظروا أن لا تطيعوا إبليس عدوكم فإنه عدو أبيكم آدم عليه السلام من قبل وهو الذى أعانه بعد القضاء على الخروج من الجنة. وعليكم بأخلاق الصالحين والاقتداء بالمؤمنين، منهم الصديق ذو الحق المبين، ثم عمر الفاروق لم يكن عنده حق الله يزول، ثم عثمان ذو النورين. ثم على الرضى سأل السيف فى المنافقين الارديا. فإذا فعلتم ذلك كنتم مع الأولياء. ولم يزل يعظهم. فلما فرغ قالوا له هل لك فى طعام طيب تأكله وثوب لين تلبسه؟ فقال كذبتم ما لهذا قصدتم ولا لهذا أدرتم. إنما تريدون أن يحملونى أصحاب الحجاج وإنما جئتم فى طلبى فلا تقيدونى ولا تغلونى فإنى لكم سامع مطيع. فأحسنوا رفقته والمشى به فلما أشرف على بلد واسط قال له القائد إذا دخلت على الأمير فسلم عليه. قال فإذا لم أسلم عليه؟ قال يقتلك. قال فإن أنا سلمت عليه وسائلنى فصدقته الجواب. أيقتلنى؟ قال نعم. قال فما كنت بالذى أسلم على رجل عاص قتل أولياء الله ووالى أعداء الله. فهو بغيض الله. ثم دخل القائد فأخبره بخبره ففرح الحجاج وقال على به فأتى به. فوقف بين يديه صامتًا لم يتكلم وعليه عباءة قد شدها إلى عنقه. فاستحقره الحجاج لما رأى من نحالة جسمه وسوء حاله فأنشأ يقول:

إياك إن تزدرى الرجال وما ... يدريك ماذا يجنيه الصدف

نفس الجواد العنيق باقية ... فيه وإن من جسمه العجف[1]

---

(١) العجف: الهزال.

فـــالحـــر حـــر وإن ألـم به الضـر فـفـيـه الحيـاء والأنف

فلما سمع الحجاج مقالته وشعره علم أنه حكيم. فقال من أنت؟ ومن أين أنت؟ قال عبد الله وابن عبيده. قال فما منعك من السلام؟ قال ما كنت بالذى أسلم ولو سلمت خفت إن لا ترد على. قال ما اسمك؟ قال أما اليوم فميمون. وما أدرى ما اسمى عند ربى إذا دعيت. بالسعادة أدعى أم الشقاوة أنادى؟ فإن قيل سعد فلان فما أحتاج إلى اسمى، وإن قيل شقى فلان فلا حظ لى عند ربى. قال يا ميمون! إنى سائلك عن مسائل فانظر أن يكون الجواب صوابًا. فقال يا حجاج إنما لسانى بضعة من بدنى. فإن أطلق مولاى الصواب نطق به اللسان. وما أنا وأمر لا أطيقه ولا أفعل إلا بحركة ولا حركة إلا بمعين. قال ويحك وما اللسان؟ قال هو الذى يترجم عن الإنسان. قال: وإنسان أنت؟ قال نعم. قال ومن أين علمت أنك إنسان؟ قال لأنى أفهم وأعقل وأطيع وأعصى، وآكل بيدى وأشرب تجرعًا وأتغوط خاليًا. وليس هذا إلا فعل الإنسان. وقد قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾. فعرفت ما يضر مما ينفع. قال فما خلقك؟ قال من ماء من عوج من بين لحم ودم. فهو فى وقت إزعاجه دم أحمر. وفى وقت نزوله ماء أبيض. فإذا استقر فى مستقر قراره صير معه مضغة مخلقة،وغير ثم صير منه لحمًا وعظمًا ودمًا وعروقًا وجلدًا. فغشى العظم بالجلد. وشبك بالعروق والصعب. وغشى بالجلد وليس فى بدن عرق ساكن لا وتحت ضارب. ولا ضارب إلا وتحته ساكن. فإذا سكن الضارب قلق البدن. وإذا ضرب الساكن اضطرب، فمن قام بحقها استوجب من الله الثواب. ومن لم يحقها استوجب من الله الزوال، فلا يخرج أحد من بطن

أمه حتى يكتب أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد. قال فلم تعمل إذا كان قد فرغ من أمرك. قال أعمل لقول النبى ﷺ "اعملوا فكل ميسر لما خلق له" ولما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام ضرب يده على صلبه. فاستخرج ذريته فأراهم وإياه. ثم قبض قبضة اليمين فقال هذه إلى الجنة ولا أبالى. ثم قبض القبضة الأخرى وقال هذه إلى النار ولا أبالى. ثم أنزل الله على نبيه محمد ﷺ فى ذلك قرآنا وقال ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين. وأما إن كان من المكذبين الضالين﴾ يعنى أصحاب القبضة الأخرى. "فنزل من حميم وتصلية جحيم" فتقدر أن تنكر هذا؟ فقال الحجاج ويحك يا ميمون تحسن مثل هذا وأنت تدعى مجنونًا. فقال إن أهل البطالة إذا نظروا إلى أهل محبة الله سموهم مجانين. (وقد مر خاتمة هذه الحكاية من هنا إلى آخرها مرة أخرى فتركناه هنا للتكرار). ثم خلى الحجاج سبيله فمضى مسلمًا. ثم قال لابن طاهر:

لنا حاجة والعذر فيها مقدم ... خفيف معلاها مضاعفة الأجر

فإن تقضها والحمد لله وحده ... وإن كانت الأخرى ففى أوسع القدر

بلى إنه الرحمن معط ومانع ... وللحر أسباب إلى قدر يجرى

* * *

الأعرابى والحجاج

ولنختم هذا المختصر بكلمات الأعرابى مع الحجاج بن يوسف:

قال صعصعة بن صوحان: خرجنا مع الحجاج حاجا إلى بيت الله الحرام. فبينما نحن فى بعض الطريق إذا نحن بصوت أعرابى يلبى بين

الغيضة. فلما فرغ من التلبية قال: كلامك اللهم لك، قال مخلوق هلك، وفى الجحيم قد سلك والجاريات فى الفلك، على مجارى من سلك، قد اتبعنا رسلك، ما خاب عبد أملك، أنت له حيث علك[1]. فقال الحجاج: تلبية موحد ورب الكعبة. لا يفوتنكم الرجل. فأسرع ما كان حتى أتى بأعرابى على ناقة برجاء بلحاء. فقال الحجاج: من أين أقبلت يا أخا العرب؟ وإلى أين تريد؟ قال جئت من الفج العميق. قال من أى الفجاج أنت؟ قال من العراق وأرضها. قال من أى العراق أنت؟ قال من مدينة الحجاج بن يوسف. قال فما سيرته فيكم؟ قال بسيرة فرعوه فى بنى إسرائيل، يقتل أبناءهم ويستحيس نساءهم. قال فهل خلفته ظاعنًا أو مقيمًا؟ قال بل ظاعنا. قال إلى أين؟ قال إلى الحج ولن يقبل الله منه. قال وهل خلف أحدًا بعده؟ قال نعم أخاه محمدًا. قال فما سيرته فيكم؟ قال ظلوم غشوم، واسع البلعوم، عاص مشئوم. قال له الحجاج هل عرفتنى؟ قال الأعرابى اللهم لا. قال الحجاج أنا الحجاج بن يوسف. قال الأعرابى. أشر والله ممن أظلت الخضراء. وأقلت الغبراء. ويشرب من الماء. بغيض مبغوض. لعين ملعون. فى الدنيا والآخرة. فقال الحجاج والله يا أعرابى لأقتلنك قتلة لم أقلتها أحدًا قبلك. قال الأعرابى إن لى ربا يخلصنى وينجينى منك. قال يا أعرابى إنى سائلك؟ قال إذًا والله أخبرك. فقال أتحسن من القرآن شيئًا؟ قال نعم. قال فأسمعنا. فاستفتح وقال: بسم الله الرحمن الرحيم "إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجًا. قال ليس هكذا يا أعرابى. قال وكيف؟ قال يدخلون فى دين الله أفواجًا. فقال الأعرابى قد كان ذلك قبل أن

---

(١) كذا ونعل الصواب سلك.

يتولى الحجاج. فلما ولى جاءوا يخرجون من دين الله. فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه. ثم قال ما تقول فى محمد رسول الله ﷺ؟ قال وما عسى أن أقول فى محمد ﷺ صاحب القضيب والناقة والحوض والشفاعة وزمزم والسقاية، ومن قرن الله اسمه باسمه. يدعى فى كل يوم وليلة عشر مرات فى الأذان والإقامة. قال فما تقول فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه. قال وما عسى أن أقول فى صديق فى السماء وصديق فى الأرض وصاحبه فى الغار وأسلم وهو يملك ثمانى ألف دينار فى سبيل الله وعلى رسول الله ﷺ. ومع ذلك يا حجاج يوم قرأ النبى ﷺ ﴿يا أيها الذين آمنوا جاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله﴾. وقال عليه السلام سمعتم ما قال ربكم تبارك وتعالى إلا من كان عنده شىء فليأتنى بما أمكنه فقام أبو بكر الصديق رضى الله عن فأتى بجميع ما عنده. وقام عمر رضى الله عنه فأتى بنصف ما عنده. وقام عثمان رضى الله عنه وأتى بثلث ما عنده. فقالوا خذ يا رسول الله؟ والله عندنا المزيد. فنزل جبريل عليه السلام وقال يا رسول الله إن ربك العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: اقرأ أبا بكر منى السلام وقل له أنا راض عنه، فهل هو راض عنى؟ فأخبر النبى ﷺ أبا بكر رضى الله عنه. فبكى أبو بكر بكاء شديدًا وقال يا رسول الله أنا راض راض فوعد الله أن يرضيه وذلك قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾. قال الحجاج: فما تقول فى عمر بن الخطاب؟ قال وما عسى أن أقول فى فاروق السماء وفاروق الأرض. فرق بين الحق والباطل على لسانه. وإذا كان يوم القيامة يأتى الحق والإسلام ويتعلقان فيه فيجزع عمر رضى الله عنه منهما فيقولان له لا تجزع فنحن الحق والإسلام اللذان كنت تقوم بنا فى الدنيا. ومن ذلك يا حجاج أن رسول الله ﷺ كان عند حفصة فدخلت عليه صفية فقال لها لا

تخبرى عائشة. فخرجت وأخبرت أم سلمة. فأخبرت أم سلمة عائشة رضى الله تعالى عنهن. فتظاهر عليه أزواجه فجاءهن عمر مغضبًا فقال لهن: لم تتظاهرن على رسول الله ﷺ عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجًا. فنزلت الآية كذلك موافقة لقول عمر رضى الله عنه. قال الحجاج فما تقول فى عثمان بن عفان[1]؟ فقال الأعرابى وما عسى أن أقول فى حافر بئر أرومة. ومجهز جيش الفطرة. ومن سبح فى كفه الحصى. واستيت منه ملائكة السماء. ومن ذلك يا حجاج يوم دخل على رسول الله ﷺ وكان جالسًا على الأيسر وركبته مكشوفة. فدخل أبو بكر والنبى عليه الصلاة والسلام على حاله. فلما استؤذن لعثمان بادر له وغطى ركبته فدخل عثمان رضى الله عنه وجلس جلسة المريض يمزحه فنظر أبو بكر إلى عمر وعمر إلى أبى بكر. فقالا يا رسول الله تغطيت من عثمان وعثمان صهرك ونحن أصهارك. فقال النبى ﷺ ألا أتغطى وأستحى من تستحى منه الملائكة؟ فقال الحجاج: ما تقول فى حق على بن أبى طالب؟ قال الأعرابى: وما عسى أن أقول فى ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته البتول. ومن قال له رسول الله ﷺ: يا على أن الله ألف بين روحى وروحك وكان عرشه على الماء وزوجك فاطمة واختارك لها من قبل أن يخلق الدنيا بألف عام. فقال الحجاج: فما تقول فى الحسن والحسين؟ قال الأعرابى وما عسى أن اقول فيمن ولدتهما البتول، ورباهما الرسول وراعاهما جبرائيل فهل لها مثل وعديل؟ فقال الحجاج فما تقول فى معاوية؟ قال وما عسى أن أقول فى خال المؤمنين وكاتب وحى رسول رب العالمين ورديف رسول الله ﷺ على بغلته دلدل[2] فقال له النبى

---

(١) هذه العبارة ساقطة من الأصل.

(٢) فى الأصل الدلال.

ﷺ ما يـلينى منك يا معـاوية؟ فقـال بطنى يا رسول الله. فـقال النبى علـيه الصلاة والسـلام ملأه الله علما وحلمًا. فـقال الحجاج مـا تقول فى يزيد بن معـاوية؟ قـال الأعرابى كـما قـال من هو خيـر عنى لمن هو شر منك. قـال الحجاج ومن هو خير منك شر منى؟ فقـال الأعرابى موسى عليه السلام خير منى، وفرعون شر منك. قال الحجاج فمـا قال فرعون لموسى؟ قال (قال فما بال القرون الأولى؟ قـال علمها عند ربى فى كـتاب لا يضل ربى ولا ينسى) فقال الحجاج: فما تقول فى عبد الملك بن مروان؟ فقال الأعرابى: ذلك والله أخطأ خطيئـة ملأت بين السـماء والأرض. فقـال الحجاج وكـيف ذلك؟ قال الأعرابى: ولأك على أمور المسلمين تحكـم فى أموالهم ودمائهم بجور وظلم. قال فعند ذلك هم الحـجج بالسيف وأشار إلى سيافه ليـضرب عنق الأعرابى، قال فـحرك الأعرابى شفـتيه. فـخر السيف ناحـية، والسياف ناحـية. وولى الأعرابى ذاهبًا. فقـال الحجاج: بحق معبودك ألا أخـبرتنى بأى دعاء دعوت؟ فقـال الأعرابى: بدعاء أن علـمتك إياه غفـر الله ما عليك من حـسابهم من شىء. وما من حسابك عليهم من شىء. ثم قال الأعرابى يا حجاج! قلت:

اللهم! يا رب الأرباب. ويا مـعلق الرقـاب. ويا هازم الأحـزاب. ويا منشئ السـحاب. ويا منزل الكـتاب. ويا رازق من تشـاء بغيـر حسـاب. يا ملك. يا تواب. يا راد موسى إلى أمه. ويوسف إلى أبيه. أسألك أن ترزقنى وتكفينى شره أنك على كل شىء قدير.

* * *

تمت النسـخة النادرة بعون من لـه الأولى والآخرة ضحـوه يوم الجمـعة لثلاثة وعشرين خلت من المحرم الحرام سنة خـمس وستين وألف بقسطنطينية

المحمية على يد أضعف عباد الله تـعالى وأحوجهم إلى بره أحمد بن المرحوم عبد الحليم، عفى عنهما الرب الرحيم. بقلم الناسخ البارع السيد صادق المالح الدمشـقى سنة ١٣٤٢ هجرية. والحـد لله وحده، والصـلاة على من لا نبى بعده، والسلام.

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ترجمة المؤلف	٧
خطبة الكتاب	٨
أصل الجنون فى اللغة	١٩
أسماء المجنون فى اللغة	٢٢
الأمثال المضروبة فى الحمق والحمقى	٢٧
أسماء جنون الدواب	٢٩
ضروب المجانين	٢٩
فصل من اعتقد بدعة وارتكب كبيرة فأدركه شؤمها فجن	٣٣
فصل من يسمى مجنونا بلا حقيقة كالشاب والمتصابى والسكران	٣٤
فصل من جن من خوف الله سبحانه	٣٥
فصل من تجان وتحامق وهو صحيح العقل	٣٨
فصل من تحامق لينال غنى	٤٠
فصل من تحامق ليرخى وقتًا، ويطيب عيشًا	٤٢
فصل من تحامق لينجو من بلاء وآفة	٤٤
فصل فى ضروب الجد والعقل، ودولة الحمق والجهل	٤٩
من عقلاء المجانين أويس القرنى	٥٣
مجنون ليلى	٥٧

الموضوع	الصفحة
سعدون المجنون	٦٤
بهلول المجنون	٨١
عليان المجنون	٩٠
أبو الديك المجنون	٩٥
عبد الرحمن بن الأشعث المجنون	٩٦
فليت المجنون	٩٨
قديس البصرى المجنون	٩٩
أبو سعيد الضبعى المجنون	٩٩
جعيفران المجنون	١٠١
سهل بن أبى مالك الخزاعى المجنون	١٠٦
أبو نصر الجهينى المجنون	١٠٨
حيان بن خيثم المجنون	١١٠
همام المجنون	١١٢
بعيل أو جعيل المجنون	١١٣
يوحنا المجنون	١١٤
أبو علقمة المجنون	١١٤
نمير المجنون	١١٥
سلمة المجنون	١١٥

الموضوع	الصفحة
عشرة المدنى المجنون	١١٦
سابق المجنون	١١٦
أبو جوالق المجنون	١١٧
ثوبان القرمينى المجنون	١١٨
أبو الصقر المجنون	١١٨
سلمة الموصلى المجنون	١١٩
ولهان المجنون	١١٩
بكار المجنون	١٢٠
نقرة المجنون	١٢٠
سمنون المجنون	١٢١
عبيد المجنون	١٢٥
عبدان المجنون	١٢٥
صباح الموسوس	١٢٦
شقران المجنون	١٢٦
هتاهية المجنون	١٢٧
بكار العريان المجنون	١٢٧
شيبان المجنون	١٢٧
عفان الموسوس	١٢٩

الموضوع	الصفحة
لقيط المصرى المجنون	١٢٩
ميمون الواسطى المجنون	١٢٩
طيورية المجنون	١٣١
غورك المجنون	١٣١
عباس المجنون	١٣٣
مان الموسوس	١٣٤
رزام المجنون	١٣٧
مجانين الأعراب	١٣٨
جساس الموسوس	١٣٨
أوفى البدوى المجنون	١٣٨
مجنون من بنى سعد	١٤٠
أعرابى مجنون	١٤٢
أبو الشريك المجنون	١٤٢
هبنقة المجنون	١٤٤
جارية سوداء	١٤٤
عوسجة المجنونة	١٤٥
ريحانة المجنونة	١٤٦
آسية المجنونة	١٤٨

الموضوع	الصفحة
حيونة المجنونة	١٤٨
سلمونة المجنونة	١٥٠
ميمونة المجنونة	١٥٠
بجة المجنونة	١٥١
مجنونة	١٥٢
مجنون	١٥٣
شيخ مجنون	١٥٣
مجنون	١٥٤
مجنون	١٥٥
مجنون أسود	١٥٥
شاب مجنون	١٥٦
ولد مجنون	١٥٦
مجنون	١٥٧
فتى مجنون	١٥٨
رجل مجنون	١٥٩
فتى مجنون	١٥٩
مجنون	١٦٠
مجنون فى دمشق	١٦٠

الموضوع	الصفحة
شاب مجنون	١٦٠
رجل مدهوش	١٦١
شيخ مجنون	١٦١
مجنون	١٦٢
شيخ مجنون	١٦٢
شاب مجنون	١٦٢
شيخ مجنون	١٦٣
شاب مجنون	١٦٤
غلام مجنون	١٦٤
رجل مجنون	١٦٥
قول لبعض المجانين	١٦٥
شعر لبعض المجانين	١٦٦
شيخ مجنون	١٦٦
شاب مجنون	١٦٧
أديب عاشق	١٦٩
فتى مجنون	١٦٩
مجنون	١٧٠
شيخ مجنون	١٧٠

الموضوع	الصفحة
رجل مجنون	١٧٢
معتوه مجنون	١٧٣
مجنون	١٧٣
شاب مجنون	١٧٣
شاب مجنون	١٧٤
شيخ مجنون	١٧٤
شيخ مجنون	١٧٥
مجنون	١٧٥
شعر لبعض المجانين	١٧٥
رجل مجنون	١٧٦
مجنون	١٧٦
شاب مجنون	١٧٧
مجنون	١٧٧
أقوال بعض المجانين	١٧٨
شاب مجنون	١٧٨
موسوس	١٧٩
أبو المبارك ميمون	١٧٩
الأعرابي والحجاج	١٨٤